

مؤشور مركز دراسات الدين والدراسات التاريخية

سلسلة نصوص ووثائق - ٢

نكحمة

تاريخ إمالة طرابلس الغرب

حكم علي القرماني
باشا طرابلس الغرب ١٧٩٣م



تحقيق

يأن فنيينا

تقديم وتعليق

خالد الأمين المغربي

ترجمة

الدكتور عبد الرحيم الأربعة

الطبعة الأولى: ١٩٨٠

١٩٨٠

تكملة
تاريخ آيالة طرابلس الغرب
حكم علي القرماني
باشا طرابلس الغرب ١٧٩٣م

منشور من مركز حماد اليبس للدراسات التاريخية
سلسلة نصوص ووثائق - ٢

نكحمة
تاريخ إمالة طرابلس الغرب
حكم علي القرماني
باشا طرابلس الغرب ١٧٩٣م

تحقيق
يان فنيينا

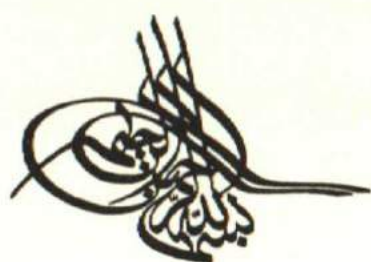
ترجمة
الدكتور عبد الحليم الأربد

تقديم وتعليق
خالد الأمين المغنني



المطبعة العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

١٩٨٠



المحتويات

القسم العربي من الكتاب :

١١	المقدمة
١٩	نص المخطوطات باللغة العربية
٤٣	أسماء الاعلام
٤٥	أسماء الاماكن
٤٧	المصادر والمراجع

القسم الاجنبي من الكتاب :

٥	المحتويات باللغة الفرنسية
٧	المقدمة باللغة الفرنسية
١٣	نص المخطوط باللغة الفرنسية
٢٧	اسماء الاعلام باللغة الفرنسية
٢٩	اسماء الاماكن باللغة الفرنسية

مقدمة

« في اواخر العهد العثماني الاول في ليبيا بدأت تجري عدة أمور ذات شأن لا تنبئ بضعف الدولة العثمانية وانكماش سيطرتها على البلاد فحسب بل بعدم احترام « فرماناتها » وقراراتها أيضا . وتنافس على العرش اشخاص كثيرون لهم طموحات في الحكم ، وصل بعضهم فعلا الى ارتقاء العرش ولو لفترة بسيطة ، كما كان لطبقة الكولغلية دور كبير في تسير دفة الامور في البلاد ، بل لقد سيطروا على الامر في كثير من الاحيان ، يعينون من يريدون ويخلعون من يريدون ، فتتالت سلسلة من الحكام على عرش البلاد في فترة وجيزة . حتى ان بعضهم لم يستمر الا اشهرا معدودة بل لم يبق بعضهم الا أياما معدودة فقط (١) . »

كل ذلك كان ارهاصات وتفاعلات حقيقية لخروج عهد جديد يبشر بالاستقرار والامن والرفاهية والسيادة ، وكان ذلك ببزوغ ثورة وطنية حقيقية اوصلت اسرة القرماني الى حكم البلاد .

وقد كان أحمد القرماني - المؤسس الاول لهذه الاسرة - حسب الرواية المعروفة هو أحد الاشخاص البارزين في الجيش ، له احترامه وهيبته ، فأراد الوالي محمد أبو اميس التخلص منه ، فأرسله الى غريان لكي يحمل رسالة الى حاكمها ، وأوعز له

١ - أحمد بك النائب الانصاري « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » مكتبة الفرجاني ، طرابلس ليبيا - الطبعة الثانية ص ٢٨٤ .

أما اذا تمعنا اكثر في النص ، فاننا نجد غلطات أخرى مثال
كلمه (Prometteur) بدلا من كلمه (Promettant) ، وهذه تدل على أنها
ليست خطأ في النسخ كما هو الحال في سابقاتها ، بل لعلها خطأ
الكاتب مباشرة والذي يدل على انه غير فرنسي لاستعماله لهذه
الكلمه في هذا الموقع وهي اسم فاعل هنا وندنها تعطي نفس
معنى (Prometteur) وهي أيضا اسم فاعل بالفرنسية لا نجد
ما يوازيهما تماما بالعربية لتوضيح الفارق ، وعليه كان الخلط
بين الاثنين ، اذ ان الاولى (Promettant) وهي أيضا المضارع المستمر
لفعلها ، تختلف عن الثانية (Prometteur) في اللغة الفرنسية من
ناحية المعنى والاستعمال أحيانا ، ومن هنا نشك أو يدفعنا ذلك
لافتراض معرفة الكاتب باللغة العربية لخلطه بينهما .

كما وجدت كذلك أخطاء نحوية كثيرة تدل بوضوح على ذلك
مثل أخطاء في تطابق أزمنة الافعال ، وكذلك الخطأ في استعمال
حروف الجر ، وكذلك الاسماء الموصولة .

كما ان استعمال كلمة (Esqui) في النص بمعنى السقيفة
في اللغة العربية وانسجامها مع المعنى بالعربية في الجملة ، على الرغم
من اختلاف معناها في اللغة الفرنسية والذي لا يجاري السياق في
الجملة لو حملناها على المعنى الفرنسي وهو « مركب » .

كذلك استعمال كلمه (Camp) والمقصود بها المحلة او الجيش
بدلا من معناها في الفرنسية وهو « معسكر » بترجمة الفعل حل
وعسكر بالعربية والتي يقابلها فعل (Camper) بالفرنسية ومن
هنا جاء الخلط .

وكذلك استعمال كلمة (arabe) والمقصود بها في النص هنا
« الاعراب » بينما تعني في الفرنسية العرب كجنس ، أما الاعراب
فلها معنى بالفرنسية هو (Bedouins) أي البدو .

كل ذلك يدفعنا لذلك الافتراض وهو معرفة الكاتب باللغة
العربية ، ان لم يكن يترجم منها للفرنسية ، علاوة على أنه
ليس فرنسيا للأسباب المذكورة .

وهو ليس بعربي أيضا ولا بمسلم ويد على ذلك استعمال ضمير المتكلم (نحن) و نون الملكية لهذا الضمير في النص على لسان الكاتب حيث يقول ٠٠٠ « فلين حكمه (أي الباشا علي القرمانلي) وحب رعيته له ، والحماية الحقيقية التي كان يتمتع بها المسيحيون في كنفه قد انستنا ذلك التعسف السابق الذي كان يثير مشاعرنا وطباعنا ٠٠٠ » الخ ٠٠٠

وكذلك في فقرة أخرى حيث يقول ٠٠٠ « ٠٠٠ اذ أن المسلمين قد يغفرون الاعمال الدموية التي يعتبرون قد اعتادوها تقريبا أكثر مما يغفرون انتهاكا غريبا كهذا لحريم النساء .. »!!؟ يدلنا ذلك اذا على أن الكاتب ليس بعربي ولا مسلم ، كما أنه ليس فرنسيا ، وان له المأما باللغة العربية ، فمن يكون ذلك الشخص بكل تلك المواصفات ان صحت يا ترى ؟ .

نعرف أنه في سنة ١٧٩٨ م كن القنصل الفرنسي في طرابلس في تلك الفترة هو بوسييه ، وكان له نائب قنصل مترجم هو اكزافييه نودي وهو شخص مالطي عين مترجما في القنصلية الفرنسية في سنة ١٧٩٤ م ، وقد يدون هذا الشخص هو كاتب المقال بالمواصفات المذكورة خصوصا وان النص كتب في سنة ١٧٩٤ فهو ليس بعربي ، ولا مسلم ، كما أنه ليس فرنسيا ، وله معرفة باللغة العربية فهو مترجم بالقنصلية الفرنسية .

ولعله قد كتبه اما لنفسه كعمل من باب التأريخ والتأليف ، أو أنه قد طُلب منه اعداده كتقرير سياسي للقنصلية الفرنسية بطرابلس بحكم عمله فيها .

ومن المعلوم أيضا أن مخطوطة هذا النص قد وجدت في مالطا فهل هذه صدفة ؟ أم أنه كشخص مالطي أخذها معه الى بلده الاصلي ؟ ونحن نعرف انه قد ساءت العلاقات بينه وبين قنصله الفرنسي في تلك الفترة ، كما نعرف أيضا أنه قد أرسله نابليون بونابرت الى طرابلس ليذهب من هناك الى مصر في عهد يوسف

باشا . ومهما يكن من أمر فإن المخطوطة قد وُجدت في مالطا ،
وأن كاتبها بتلك المواصفات قد يكون هو اكزافييه نودي ، كما
أن تحديدنا لتاريخ كتابة النص هو بسنة ١٧٩٤ م ونرجعه
للاسباب التالية :

١ - ان الكاتب يذكر لنا في النص معركة جنزور وهي قد
وقعت بتاريخ ٢٩ اغسطس سنة ١٧٩٤ م .

٢ - لم يذكر الكاتب في النص أحداث احتلال علي برغل
لجزيرة جربة ، وقد كان بتاريخ ٢٤ سبتمبر سنة ١٧٩٤ م ،
وهو حدث مهم ولم يدون . اذن فكان النص قد كتب بين
الفترتين السابقتي الذكر ، وهما ٢٩ اغسطس سنة ١٧٩٤ م ،
و ٢٤ سبتمبر سنة ١٧٩٤ م اي في الاسبوعين الاولين من شهر
سبتمبر من سنة ١٧٩٤ على وجه التحديد .

في حين تجدر الملاحظة التالية ، وهي اننا نجد انه كتب على
ورقة الغلاف تاريخ سنة ١٧٩٣ م ، اي تاريخ كتابة النص ، وهذا
لا يصح بالمقارنة للاحداث التي جرت بعد ذلك وذكرت في النص
بسنة ١٧٩٤ م ودليل ذلك آخر سطر من المقال وهو « ... ماذا
ستسفر عنه الايام في نهاية تلك السنة ... » .

أو أن النص قد نقل ونسخ على فترتين ، الفترة الاولى في
سنة ١٧٩٣ م وهو تاريخ ورقة الغلاف ، ثم الاضافة التي في
النص من الاحداث التي جرت في سنة ١٧٩٤ .

وبالمقارنة مع نص فرنسي آخر على جانب كبير من الاهمية
هو نص شارل فيرو في (الحوليات الليبية) والذي كتب بعد
قرن من الزمان تقريبا من تاريخ كتابة هذا النص الذي بين
أيدينا فانه يتضح - وخاصة بعد دراسة النص والتطابق شبه
الكامل تقريبا في بعض الفقرات في سرد الاحداث بين النصين ،
بل وحتى في ترتيب الجمل واستعمال المفردات أيضا بينهما - فان
ذلك لا أعتقده يكون صدفة فقط بل لعله يدل على أن شارل فيرو

قد نقل عن الكاتب كل ما وجدته ولكن دون أن يشير الى ذلك صراحة أو يعطينا ما يدل على وجود هذا النص اصلا او استقائه لمعلومات منه ، ولعله من المحتمل أنه وجدته بملفات القنصلية الفرنسية في ذلك الوقت .

وعلى اية حال ، فان اهمية هذا النص أنها تعطينا لمحة عن تاريخنا وما كتب عنا بلغة اخرى في فترة معينة لعلها من أهم الفترات خلال القرن ١٨ و ١٩ . ألا وهي فترة القرمانليين . ولكنه لا يجب ان يغرب عن باند ولو لحظه واحدة ان هؤلاء 'كتّاب أجانب ينظرون الى الامور من خلال منظارهم الخاص بهم والذي يعكس عقليتهم واسلوب تفكيرهم ومشاعرهم والتي تحوي تلك النظرة الاستعمارية تجاهنا .

ومهما كان الكاتب نزيها وموضوعيا فعلينا أن ننتبه بحذر كامل لكل ما هو مكتوب فيها ، ونقوم بالبحث عما هو صحيح وما هو غير صحيح بموضوعيته قدر الامكان ، ونقارن بين مختلف الكتّاب لتلك الفترة حتى نخرج بصورة اقرب ما نكون للحقيقة من تصويرها من قبل الاجانب عن تاريخنا وبلدنا وتراثنا .

واننا اذ نقدم اليوم هذا العمل المتواضع ، مع كل الشروح والتعليقات بقصد تنبيه القارئ العربي ما أمكن ذلك ، والمقارنه مع كلام الكاتب في كثير من الاحيان بغيره من الكتّاب العرب والاجانب ، قصد البحث عن الحقيقة التاريخية ، لندرجو أن نكون قد أفدنا به الباحث العربي وخاصة الباحث العربي الليبي والمساهمة ولو البسيطة في اثراء مكتبتنا التاريخية ومحاولة معرفة ما كتب عنا من حولنا باللغات المختلفة لنستفيد منه واضعين نصب أعيننا مصلحة بلادنا فوق كل اعتبار .

والله من وراء القصد

خالد الامين المغربي
طرابلس في صيف ١٩٧٩ م

نص المخطوط

المخطوط

خلف علي القرمانلي أباه محمدا - باشا - على عرش طرابلس سنة ١٧٥٦ م^(١) . ولم يكن لبداية عهده الطابع الانساني الذي اتسم به فيما بعد - فأخذه رعيته باللين وحب هذه الرعية اياه والحماية الحقيقية التي ما انفك يوليها المسيحيين كل ذلك أنسانا^(٢) * تعسفه السابق الذي تنفر منه طباعنا رغم أنه وكأنما العرف الذي لا يرحم - على ما يبدو - يعمل به ويكرسه وغالبا ما تبرره ضرورة اتقاء مؤامرات المنافسين^(٣) .

وهكذا استمر علي باشا يحكم بالعدل والاعتدال .

* الكلام هنا على لسان المؤلف

- ١ - انظر فيرو ، شارل - **العوليات الليبية** - منشورات مكتبة الفرجاني - طرابلس - الجزء ٢ ص ٤٥٦ حيث يقول « ٠٠٠ عند غروب شمس يوم ٢٤ يوليه سنة ١٧٥٤ ، أطلقت مدفعية القلعة ثلاث طلقات تعلن في آن واحد وفاة محمد باشا داي وبيعة ابنه البكر سيد علي داي » وكذلك عمر ابن اسماعيل في كتابه **انهيار حكم الاسرة القرمانلية** ، منشورات مكتبة الفرجاني - طرابلس ليبيا ص ٤٧ « تولى علي باشا حكم البلاد سنة ١٧٥٤م » أما أحمد بك النائب الانصاري في **المنهل العذب** - منشورات مكتبة الفرجاني طرابلس ليبيا ج ١ - ص ٢٩٦ ، فانه يقول « ٠٠٠ في ولاية علي باشا قرمانلي وفيها أعني سنة سبع وستين (١١٦٧ هـ) توفي محمد باشا القرمانلي وولى ابنه علي باشا ٠٠٠ » سنة ١١٦٧ هـ تقابل ٢٩ اكتوبر سنة ١٧٥٣م (انظر البرغوثي عبد اللطيف) **تاريخ ليبيا الاسلامي** - منشورات الجامعة الليبية - دار صادر بيروت ص ٥٨٦ .
- ٢ - قد انستنا ، وأثارت شعورنا الخ ٠٠٠ والكلام هنا على ضمير المتكلم الذي يرجع للمؤلف ويتضح بالتالي أنه اجنبي ٠٠٠
- ٣ - انظر **العوليات الليبية** - المصدر السابق ص ٤٥٧ ، وكذلك **انهيار حكم الاسرة القرمانلية** ص ٤٩ - وكوستانزيوبرينا - طرابلس - ١٥١٠ - ١٨٥٠ م ترجمة خليفة محمد التليسي - منشورات مكتبة الفرجاني طرابلس ليبيا - الطبعة الاولى مايو ١٩٦٩ م ، ص ٢٦٥ - ٢٦٦ .

ولعل طرابلس التي كانت تعد بحق اقوى الايالات المغربية والتي تميزت بصمودها حتى بعد أن دمر القائد (دوكان)^(٤) اسطولها بمعركة (ساقز) والتي لم تتزعزع قوتها بالفعل الا بعد الخراب الذي فاق الوصف والذي حاق بها نتيجة طاعون عام ١٧٨١ م^(٥) لعلها كان بإمكانها أن تستعيد جزءا مما خسرت وأن

٤ - بخصوص حملة دوکید على الاسطول ، ومعركة ساقز Ghio ، كانت هذه المعركة قد وقعت بين الطرابلسيين والفرنسيين في جزيرة ساقز في سنة ١٦٨١ م وذلك عقب عدة أعمال كبيرة قام بها الطرابلسيون تجاه الفرنسيين خاصة بعد الاستيلاء على بعض من سفنهم ومطاردة بعض الاسرى الفرنسيين الى جزيرة ساقز ، فذهبوا الى بيت القنصل الفرنسي في هذه الجزيرة ، وطلبوا منه تسليم شخص هارب ، وعندما أنكر ذلك فانهم أغلظوا في معاملته ، ويقول فيرو ج ١ - ص ٢٥٨ - ٢٩٦ - وبعد أن نقبوا عنه بالفعل في كل أركان البيت (بيت القنصل) ، فان الغضب قد استبد بهؤلاء القراصنة لعدم عثورهم عليه ، فقبضوا على القنصل وضربوه ، وبعد أن كتفوه وجلدوه بأحزمتهم الجلدية ، ووضعوا في عنقه حبلا ، فانهم سحلوه في شوارع بلدة لارنكا حتى شاطئ البحر ، وضربوه بقسوة كي يرغموه على المشي وكلما وقع على الارض جروه من رجليه مثلما تجر الحيفة الى كومة القاذورات ٠٠٠ الخ « ٠٠٠ ولم يكن من المعقول أن تمر هذه الاهانة بدون عقاب ، فتلقى الاسطول الفرنسي في البحر الابيض المتوسط ٠٠٠ أمرا بتعقب القراصنة الطرابلسيين ومهاجمتهم أينما وجدوا ، وكان الاميرال الفرنسي دوكين يتحرق شوقا لملاقاتهم ٠٠٠ » ولجأ البحارة الليبيون الى جزيرة ساقز ، وعلم الاميرال الفرنسي بذلك فهاجمهم هناك بعد أن أرسوا سفنهم داخل الميناء ، فأصاب ثلاثة من سفنهم الثمان اصابة بالغة ، وأصبحت الخمس سفن الباقية في حالة من التلف الى حد أن طواقم بحارتها قد تخلت عنها الخ ٠٠ - انظر تفاصيل هذه الواقعة والاحداث في **الحوليات الليبية** المصدر السابق ج ١ ص ٢٥٨ - ٢٩٦ . كما تجدر الاشارة أيضا الى أنه كانت هناك حملة أخرى على طرابلس في سنة ١٧١٤ بقيادة ابن الاميرال دوكين هذا في عهد الباشا أحمد الاول القرمانلي ، ولكن هذا الاخير استطاع - وهو في بداية حكمه - أن يتفادى الحرب معهم ، وارسال سفارة الى باريس ، ثم عقد اتفاقية معهم انظر بهذا الصدد **الحوليات الليبية** المصدر السابق - ج ٢ - ص ٤٠١ ، وكذلك كوستانزيو برينا - المصدر المذكور سابقا ص ٢٥٨ - ٢٥٩ .

٥ - كان وباء الطاعون قد أصاب طرابلس في تلك الفترة ، ولكنه كان في سنة ١٧٨٥ م حسب رأي شارل فيرو - ج ٢ - ص ٤٨٥ - وكوستانزيو برينا ص ٢٦٨ ، وعمر بن اسماعيل ص ٤٨ ، ومسز تولي عشر سنوات في بلاط طرابلس - ترجمة عمر الديراوي أبو حجلة - منشورات مكتبة الفرجاني طرابلس ليبيا ص ٢١٨ وهي تقول ان انتشار هذا الوباء في تلك الفترة كان حتى في القاهرة والقسطنطينية .

تسترد اشراققتها السالفة لو لم تعقب هذه الكوارث المدمرة فتن عائلية كدورت عيش الباشا وشغلت كل لحظات حياته تقريبا فأبعدته عن شئون الدولة تاركة بذلك المجال واسعا فسيحا لطموح وزرائه وجشعهم .

ولا شك ان انحطاط هذه المملكة التعيسة المتواصل والحالة المؤسفة كثيرا التي تردت فيها الآن^(٦) وانسداد افاق المستقبل الذي بات ينذر بدمار شامل تقريبا انما مردها أساسا الى هذا السبب الاخير .

كانت أسرة هذا الامير تتكون من أبناء ثلاثة هم سيدي حسن باي وسيدي احمد باي وسيدي يوسف . وأخ هو احسن^(٧) * القرمانلي الذي كان يتولى حكم بنغازي وبها يقيم . ولم يكن يعرف في طرابلس الا باحترام الجميع وتقديرهم اياه لسماحة طبعه وعدالة حكمه .

وكان سيدي حسن ولي العهد يجمع الى دماثة الخلق موهبة قيادية عالية وكان يكسب كل الذين يتصلون به بفضل حسن استقباله لهم وترحابه بهم ، اما شجاعته التي كثيرا ما اظهرها على رأس (الامحال) اي الجيوش التي كان يلجأ الى تجنيدها لجباية الضرائب فانها لم تبق على البدو داخل حدود الطاعة فحسب بل كانت كذلك تدر عليه أموالا تضاف الى الغنائم التي

* كذا في النص

٦ - يبدو من الواضح هنا ان الكاتب معاصر لتلك الاحداث حيث يستخدم كلمة (الآن) .

٧ - انظر كوستانزيوبرينا طرابلس سنة ١٥١٠ - ١٨٥٠ ص ٣٦٨ شجرة نسب القرمانليين حيث انه لا يوجد عليها اسم حسن كأخ لعللي باشا بل انه يذكر أن أبناء محمد باشا هم أربعة : محمود - يوسف - محمد باشا وسليمان وأنجب محمد عليا الذي تولى (١٧٥٤ - ١١٩٣) ولا نعلم فيما اذا كان للباشا أخ اخر يسمى حسن ، ومن المحتمل أن هذا الاخ ليس له ذكر هنا باعتبار انه كان في بنغازي وغير معروف في طرابلس - انظر ص ٢٦٤ - من كتاب برنيا العوليات الليبية ج ٢ - ص ٤٥٩ حيث يقول عن قتل الباشا لأحد اخوته دون ذكر اسمه وأربعة من أعمامه .

كان القراصنة يحصلون عليها وهم الذين كان سيدي حسن يقوم بتسليحهم من ماله الخاص فكانوا لا يأمرون الا بأمره .

وكان أبوه يرقب في اطمئنان نمو نفوذه ويسلمه في ثقة كل الاعباء الهامة التي بدأت سنه المتقدمة توهن من قدرته على تحملها - ولا شك أن الاميرين أخوي ولي العهد كانا يحسدانه على ما اكسبته خصاله الحميدة من احترام الناس وتبجيلهم - فاما سيدي أحمد ولي العهد الثاني الذي كان وديع الطبع فقد أوكل للأيام - على ما يبدو شفاء ما به من كمد واما سيدي يوسف الذي كان حاد الطبع فقد عقد العزم على تقديم أخيه قربانا^(٨) لفيظه وطموحه وذلك ما أفلح في تنفيذه لسوء الحظ^(٩) .

لكن عدد أنصار ولي العهد واخلاصهم له ما كانا ليدعا لسيدي يوسف فرصة لتنفيذ جريمته التي اضمرها الا غفلة . وقد يسرت له ثقة خصمه فيه واطمئنانه اليه اقتراف هذه الجريمة . واستطاع سيدي يوسف التأكد من هذا الاطمئنان وتلك الثقة

٨ - المقصود هنا هو البني حسن القرمانلي ولي العهد وابن علي باشا ١٧٥٤ - ١٧٩٣ م .

٩ - نجد هنا نفس تعبير فاذا لا يتفق مع تعبير الكاتب في أسفهم على قتل سيدي حسن القرمانلي على يد أخيه يوسف ، ولعلمهم يعرفون أن نتيجة كل ذلك هي وصول شخص مثل يوسف الى العرش ، وهو الشخص الذي يبالفون في تصريه دائما بأنه شخص حقود ، وغدار وليست له انسانية ولازمة مع ما يصفون على الآخرين من صفات الوداعة ، والرقه واللين والاخلاق الحميدة وهو (أي يوسف) شخص سوف لن يكون من لهم معه كأوربيين أو مسيحيين مثل ما هو الحال مع الباشا علي القرمانلي الذي قال عنه الكاتب صراحة المسيحيين كانوا يتمتعون بحماية فعلية في كنفه ، ولا مثل سيدي أحمد القرمانلي أخو سيدي يوسف ، وهو شخص معروف بميوله اليهم ، وذلك ما نراه بكل وضوح خاصة في نهاية مطافه بعد الحملة التي دعى الامريكيين ليساعدوه فيها بالاعتداء على مدينة درنة ، والتي قادها الامريكي وليام ايتون ، ولكنها باءت بالفشل . ولا تزال آثارها باقية حتى يومنا هذا على سواحل درنة . انظر بصدد هذه الحملة العوليات الليبية ج ٢ ص ٥٦٠ - ٥٦٤ . وكذلك المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب - المذكور اعلاه ص ٣١٤ - ٣١٥ - وكوستانزيوبرينا المذكور اعلاه ص ٢٨٦ - ٢٩٠ . وتاريخ طرابلس الغرب لمحمود ناجي ص ١٦٤

أكثر من مرة عن طريق النزاعات المتكررة التي كان يلجأ الى وساطة النساء لانها .

وأصبحت هذه الخلافات التي كانت تتجدد وتُسَوَّى باستمرار لا تدعو الى الريبة اذ لم تعد تثير الانتباه . وبذلك استطاع سيدي يوسف اختيار أنسب الاوقات لتنفيذ جريمته .

وأخيرا عرضت الفرصة التي كان ينتظرها بفارغ الصبر . وحدث ذلك يوم الجمعة ٢٠ يوليو عام ١٧٩٠ م (١٠) فابدى يومها رغبة أكيدة في المصالحة وبحث يدعو الباى للذهاب الى جناح أمه حيث سيعترف له بأخطائه بمحضرها حسب زعمه ويمهر وعده باصلاحها بأغلظ الايمان .

لكن اختيار يوم سوق المنشية - وهو السوق الذي يخرج اليه أغلب رجال المدينة - لهذه المصالحة ومعرفة طبع سيدي يوسف المغامر بخاصة كانا يبعثان على الارتياح في هذه الدعوة - الا أن ولي العهد ذهب الى ذلك الوعد المشؤوم دون سلاح مدفوعا في ذلك بثقته الفطرية ورغبته في وضع حد للخلافات التي طالما انهكتة .

وكان سيدي يوسف هو الآخر دون سلاح وكانت بداية المقابلة هادئة - وعرض هذا أن يقسم على المصحف عن صدق نواياه في المسالمة وقبل عرضه . واثرا إشارة منه متفق عليها ناوله أحد رجاله مسدسين جرح أول الامر الحسن المسكين جرحا خفيفا بأحدهما واستطاع هذا بدوره أن يمسك بسكين صغير جرح به قاتله في ذراعه غير أن طلقة ثانية وضعت حدا لمقاومته الباسلة

١٠ - يحدد كوستانزيوبرينا ص ٢٦٩ التاريخ بأنه في شهر أبريل سنة ١٧٩٠ م ويقول عمر بن اسماعيل أنه في شهر يونيه ١٧٩٠ م ، ويقول قيروطي ٥٠ أنه في يوم ٢٠ يولييه ١٧٩٠ م ، أما المنهل العذب فانه يسردها ويقول ص ٣٠٠ أنه وصل البها يوم ٢١ ذي الحجة ١٢٠٧ هـ (١٧٩٢ م) وتختلف معهم مسرتوللي في عشر سنوات في بلاط طرابلس ص ٤١٤ - ٤٢٠ بأن تحده بيوم ٢٠ أغسطس ١٧٩٠ م .

وحدث هذا المشهد الاليم بمحضر الام وزوجة^(١١) ولي العهد التي كانت حبلى في شهرها الثامن^(١٢) والعديد من النساء الاخريات .

وامعانا في الفضاعة أدخل القاتل عبيده وأمرهم بانتهاك حرمة المقام . مما أثار حفيظة الناس أكثر من الجريمة ذاتها ، فالمسلمون قد يغفرون الاعمال الدموية التي تعودوها تقريبا أكثر مما يغفرون انتهاكا غريبا لحريم النساء لم يعهدوه من قبل . //

ثم نزل سيدي يوسف يحركه هذا النصر الفاشم فالتقى في الفورة الاولى لجريمته بعمه (او خاله) الكاهية^(١٣) عند السقيفة وكان شيخا وقورا فسأله هذا في قلق عن سبب اضطرابه الغريب فما كان منه الا أن أمر عبيده فقتلوه - ثم امتطى حصانا وانسحب الى حديقة أبيه يتبعه جمع غفير من المتهورين الذين ربطوا منذ تلك اللحظة مصيرهم بمصيره وباتوا يطيعونه طاعة عمياء .

أما سيدي أحمد الذي كان غائبا عند الجريمة فان استفادته من تنفيذها يجعلنا نفترض مشاركته فيها . ولعل السرعة التي جاء بها بعد يومين^(١٤) ليقطف ثمرتها ترجح بأنه كان على علم سابق بالمؤامرة .

١١ - تفيدنا مسز تولي - وهي شاهدة عيان - أن زوجة البي حسن لم تكن موجودة معهم ، ولكنها هرعت مسرعة الى الغرفة بعد سماعها الضوضاء والجلبة ، فوجدت زوجها يسبح في بركة من دماؤه . فألقت بنفسها فوق جثته ناحبة - انظر عشر سنوات في بلاط طرابلس ص ٤١٧ .

١٢ - تقول مسز تولي ان زوجة البي حسن قد وضعت طفلا قبل ان يتم اسبوع كامل على وفاة والده ، وكان الطفل ذكرا انظر عشر سنوات في بلاط طرابلس - المرجع السابق ص ٤٢٣ .

١٣ - لم يذكر احد من المؤرخين الذين كتبوا عن هذه الفترة على ما نعلم لا أحمد النائب لا مسز تولي ولا شارل فيرو ولا برنيا ولا فارالا ولا عمر بن اسماعيل هذه العادثة ، وهي انتهاك حرمة حكام الحريم ، ويجوز اذن انها تعكس بذلك تصورات الكاتب وأفكاره .

١٤ - (السرعة التي حضر بها بعد يومين) تختلف تولي وفيرو مع الكاتب في ان سيدي أحمد قد يرجع الى طرابلس قبل الفروب (اي من نفس ذلك اليوم) وليس بعد يومين كما يقول الكاتب - انظر فيرو ص ٥٠٣ ج ٢ - وتوللي ص ٤٢٠ .

وأمكن تهدئة غيظ الباشا^(١٥) لفقده ابنه بأن أوغر صدره ضد الراحل وبأن أقنع بأنه لولا سيدي يوسف لذهب هو الآخر ضحية طموح القتل ، ومثل هذه الشكوك تتطرق بسهولة الى عقل أي سلطان مغربي* فلم يفكر الباشا بعدها إلا في حمد الله الذي نجاه من خطب عظيم وفي ضم ابنيه الباقيين اليه .

ومهما يكن رأيه في هذا الخصوص فإنه يحسن أن يبدو وكأنه قد اقتنع ، خاصة وان جسارة المجرم تجعل من الخطر اللجوء الى السرامة . وهكذا اغتتم الباشا ببراعة الفرصة التي عرضت له ليعمل تسامحه تجاه القاتل .

وفعلا دعي سيدي يوسف واستقبل استقبال المنقذ لابيه ، وكان يصحبه أكثر من مائتي رجل مسلح - وأمر الباي^(١٦) وكبار الضباط بالذهاب لاستقباله عند باب السقيفة وظهر سيدي يوسف ظهور الابطال في المكان نفسه الذي سبق أن دنسه بجريمة من أبشع الجرائم .

وكان الذين شهدوا هذه المقابلة الهامة يرقبون نهايتها في قلق ؛ اذ كان الباشا والباي في قبضة سيدي يوسف ، وكانت لحظة واحدة وجريمة أخرى كفيلتين بإيصاله الى العرش واشباع طموحه المتناهي الذي ضحى بكل شيء من أجله .

* يستعمل الكاتب كلمة « بربري » والمقصود به هو النسبة الى شمال أفريقيا من حدود مصر الى المحيط الاطلسي ، وفضلنا استعمال عبارة مغربي - المترجم - ١٥ - (تهدئة بال الباشا لفقد ابنه) يقول شارل فيرو ان اليهودية ايستر احدى محظيات الباشا كانت هي السبب في ذلك ، وهي التي اقنعت الباشا بتلك الفكرة انظر **الحوليات** ص ٥٠٣ ، أما الكاتب هنا فإنه يبني الفعل للمجهول للمجهول ولعل ذلك لعدم ذكر الفاعل او لجهله به . انظر ايضا عشر سنوات في بلاط طرابلس ص ٥٧٨ .

١٦ - (أمر الباي ٠٠٠) يقول شارل فيرو ان احمد قد طالب بتعيينه بيتاً بعد وفاة أخيه الأكبر ، فوافق الباشا على ذلك بشرط موافقة سيدي يوسف أيضا ، فوافق هذا الأخير في نهاية الامر ، وتم اعلان سيدي أحمد بيتاً جديداً يوم ٢٩ يولييه سنة ١٧٩٠ م . انظر **الحوليات الليبية** - ج ٢ ص ٥٠٣ - ٥٠٤ .

وكان لهذا التخوف ما يبرره ؛ غير أنه انقشع لحسن الحظ وعقبته دهشة كبرى عندما شوهد سيدي يوسف يرتمي عند قدمي أبيه الذي أنهضه برفق وأمر بأن تقدم له آيات الولاء المعهودة وهكذا تم التفاوضي عن الموضوع الذي كان يشغل بال الجميع ودار الحديث في مواضيع عامة .

ولم يلبث سيدي يوسف أن انسحب الى جناحه تتبعه حاشيته الضخمة التي ضاعفت مكانته لدى أبيه من تعلقها به كما زاد عددها بسرعة جعلت سيدي أحمد يرى من جهته ضرورة أن يضع نفسه في مأمن من أي هجوم أو غدر من قبل أخيه .

وبقي الاميران مدة طويلة على هذه الحال من المراقبة والحذر اللذين كانا يخفيانهما وراء مظاهر الاحترام من جهة والمودة من جهة أخرى .

غير أن طبع سيدي يوسف لم يكن ليتلاءم طويلا مع هذا التصرف المفتعل . فلم يلبث أن انكشف عن حقيقته لكنه كان أضعف من أن يقوم بأي عمل ضد رجل دائم الحيلة فاكتفى بالعودة الى ملجئه الاول أملا أن يتمكن من استدراج الباي الى خارج المدينة ومن اتخاذ حزب قوي لدى الاعراب يستطيع أن يقتحم به مقر أخيه ان لزم الامر .

وفي ذلك الحين كان سيدي أحمد يئن من قيوده ومن العراقيل التي ما انفك أبوه يضعها أمام السبل التي يريد تجربتها لكسر قيده . وكان موقف الباشا هذا مثار افتراضات عديدة وتأويلات كانت كلها في غير صالح الباي بيد أنه أجدر بنا أن نعتقد بأن تفضيله لسيدي يوسف لم يجعله ينفذ عن طموحه . وأن تخوفه المعقول منه جعله يداري نصيرا لا يميل اليه كثيرا كما أنه لا يخشى منه شيئا .

وشجع جمود الباي أخاه الذي استغل محاباة أبيه الظاهرية له فاستطاع جمع نحو من ستمائة فارس مثل على رأسهم أمام

المدينة يوم ٢٥ ماي سنة ١٧٩١ م^(١٧) . ولو عرف كيف يستفيد من لحظة المباغتة والذعر الاولى لاستولى عليها دون شك ولكانت المقاومة التي وجدها لا تذكر . اذ كانت الاسوار خالية من المدافعين والمدفعية مهملة . لكنه أمهل المدينة حتى تداركت ضعفها فاضطر للانسحاب .

كما أنه قام بعدها بمحاولتين أخريين مماثلتين لم تكونا أسعد خطا .

ومن المحتمل أنه لو لم يشجعه اخلاص أنصاره له وظروف خاصة عرف كيف يستغلها لعدل عما كان يرمي اليه . فلقد كان منذ سنتين يتنقل في الدواخل متحملا المشاق وشظف عيش الترحال بصبر ينتزع الاعجاب . وكانت شجاعته تسترعي الاهتمام وكان هو يعرف كيف يتعهد ذلك ببراعة وحذر . كما كان أنصاره المتحمسون يزرعون بذور التذمر والشقاق حيثما حلوا . ويجدون في عدم تحرك الباي دعامة لتعريضهم به . علما بأن الباي كان مكرها على خموله هذا . الا أنهم كانوا يعززون ذلك اما لافتقاره للنشاط واما لتفضيل الباشا المعروف لسيدي يوسف .

أما هذا الاخير فقد كان يضبط تحركاته والشائعات التي يرى ترويجها طبقا لاعمال أبيه (أو أخيه) وأفعاله التي كان يرقبها عن كثب .

ووجد سيدي يوسف في سليمان باني^(١٨) سندا قويا . وهذا الاخير هو ايطالي مرتد* كان يسعى للانتقام من سيدي محمد^(١٩) صهر الباشا لاعتدائه على عرضه . اذ ما اكتفى هذا بالتباهي

* الكلام على لسان المؤلف ، والمقصود أن الايطالي (باني) ترك النصرانية واعتنق الاسلام - المترجم -

١٧ - (يوم ١٧٩١/٥/٢٥ م) - يقول صاحب **الحوليات** ان تاريخ الحملة هو ٢٥ يونيه سنة ١٧٩١ م (**الحوليات** ص ٥٠٥) .

١٨ - (سليمان باني) ينطقها فيرو في ترجمة **الحوليات** ص ٥٠٦ - سليمان السبوني وهو عليج ايطالي كان أحد ضباط القلعة . كما تنطقها أيضا مسز توللي البوني - (انظر عشر سنوات ص ٥٥٣) .

بتصرفه بل تعداه الى تهديدات لم يستطع (باني) أن ينتصف
لنفسه منها . وتضاعف غيظه لاستحالة الانتقام لنفسه علنا لذا
كان يرقب كل ما من شأنه أن يوصله الى هدفه .

وكان عندئذ قائد (حاكم) الساحل أكبر ضواحي طرابلس
هو سيدي عمورة عن مصطفى خوجه . وكان أبوه رئيس كتيبة
الباشا . واسع الثروة والجاه ، عريقا في المنصب . ويمكن القول
بأن سوء استعماله لجاهه كان أحد أسباب محن طرابلس .

تذمر سكان الساحل من قسوة (قائدهم) ومن جشعه وكانت
شكاواهم ملحة ومبررة مما جعل الوزير يرى ضرورة التسليم
مؤقتا أمام الزوبعة والاستفادة من ذلك بأن يظهر بمظهر الرجل
العادل النزيه فوافق على اقامة ابنه وتعديله بخازن دار الباي
الراحل - لكنه لم يغفل السبل الكفيلة باصلاح ما لحق بسلطته
من ضرر . وعقد العزم على اعادة ابنه الى منصبه .

ورأى بلوغ ذلك باثارة سكان الساحل على قائدهم الجديد
فكان يعزي الى نصائح هذا القائد ما يوحى به هو نفسه الى
الباشا من قسوة متناهية ضدهم .

وتسنى له ذلك لأن الهموم العائلية قد خشت طبع الباشا
فحاد عن سماحته المعهودة في ظرف كان في أمس الحاجة اليها - فلم
يكتف بعدم الاهتمام منذ البداية بشكاواهم التي كان كبار
المشاخ قد تقدموا بها بل أهانهم واشتد في عقابهم .

ولقد أثارت هذه المعاملة المخالفة لما عرفوا فيه من الاعتدال
تذمرات جديدة عرض مصطفى خوجه أن يضع حدا لها باعادة

١٩ - سيدي محمد هذا هو صهر الباشا - اي زوج ابنته - وقد كان عشيقا
لزوجة سليمان البوني والتي كانت تسمى زينب ، والحقيقة ان سيدي محمد
لم يكتف بمطارحة تلك الزوجة الخونة الغرام علانية فحسب ، بل وثنى
بتوجيه تهديدات الى زوجها - انظر العوليات الليبية ص ٥٠٦ ، وكذلك
عشر سنوات في بلاط طرابلس ص ٥٥٣ .

تنصيب ابنه حاكما على الساحل ، فعزمه وصرامته كفيلا
باخضاع العصاة - لكن هذا الدواء العنيف قد حرك الداء بدلا
من تسكينه ، وهيا العقول بطبيعة الحال كما كان سيدي يوسف
ينتظره منذ أمد بعيد . ولم يترك سليمان باني هذه العقول
تهدا بل أنفق ثروته لاستماله أولئك الذين لم يجرحهم الاقناع
ولا الاقتداء بالغير الى صف سيدي يوسف .

والغريب في هذا الحدث هو الدقة القصوى التي كتم بها
السر رغم اطلاع عدد كبير من المتأمرين عليه ، وكان الباشا
الذي انهكته هذه الحرب الطويلة قد وافق قبيل هذه الاحداث
الاخيرة على تعيين سيدي يوسف حاكما على بنغازي . آملا بذلك
وضع حد للصوصية التي كان يسببها في مملكته وجود هذا المتمرّد
وحمايته لكل أولئك الذين تدفعهم الى حزبه روح التمرد أو
الخروج عن القانون .

أما سيدي أحسن الذي كان لا يطيع سوى صوت الحب الاخوى
والرغبة في السلام ، فانه ضحى من أجل ذلك بمصالح ثروة طائلة
جمعها على عجل وجاء ليهبها لاختيه الباشا .

وتظاهر سيدي يوسف بقبول عرض أبيه بامتنان وكان أبوه
قد أنعم عليه قبل ذلك بكل ما يجعل منه بشكل واضح الشخصية
الثانية بالملكة .

وشعر أهل طرابلس بأنهم باتوا واثقين من السلام الذي
ما انفكوا يطمحون اليه منذ عهد بعيد بعد أن بلغوا حدا فقدوا معه
حتى الامل في السلام .

ولما تأكد سيدي يوسف من استعداد أهل الساحل مثل
بأرضهم حيث استقبل بكل الترحاب الذي يمكنه أن يتمناه . بيد
أنه لم يكن يشعر بأنه أصبح من القوة بحيث يستطيع مهاجمة
طرابلس - فزحف على القرى المجاورة فأخضعهما دون أن يلاقي
مقاومة تذكر . وبعد أن سيطر على الريف كله بدأ الاعمال
الحربية بضراوة أذكتها ضغينته لهزائمه السابقة .

ولقد أثار هذا الهجوم العنيف المباغت هلعاً عظيماً بين أهل طرابلس وكان ذلك طبيعياً خاصة وأنه - بغض النظر عن تفوق العدو عدداً ومواقع - كان يخشى من تواطؤ قد ينفجر بين لحظة وأخرى داخل المدينة . لكن أوامر الباشا الصارمة ووسائل الدفاع التي لجأ إليها في الحال أبعدت هذه التخوفات . كما هبت جموع غفيرة من الأعراب لنجدة الباشا . ولولا الشقاق الذي دب في صفوفهم لامكنهم مواصلة انتصاراتهم الأولى . وكانت قبيلة النوايل التي جاءت في ثمانمائه فارس السبب الرئيسي في الوضي .

ولم يكن بالمدينة من الشعير ما يكفي لهذا العدد من الفرسان الذين كان الحاحهم يزداد بتناقص كمية الشعير . حتى بات يخشى حدوث فتنة أو خذلان بسبب تأخر السفن التي أرسلت بتكاليف باهظة تجاه سواحل البلاد - والتي كانت تحركات سيدي يوسف تعيق شحنها أحياناً رغم الثمن المرتفع جداً الذي بلغته هذه السلعة .

ومن المعلوم أن هؤلاء العساكر كانوا ملزمين بأربعين يوماً من الخدمة المجانية أي أن الأفراد كانوا لا يتقاضون رواتب عن هذه المدة غير أنهم لم يكونوا ملزمين بشيء بعد انقضائها .

ولقد كان الانفاق عليهم باهظاً : فزيادة على طعام الجند وعلف الخيل ، جرت العادة على أن يمنح كل فارس قميصاً وسروالاً وحذاءً - أضف إلى ذلك الثمن المشط الذي كانوا يطالبون به تعويضاً عن خيولهم المصابة وبوسعك عندئذ أن تتصور دون عناء المصاعب التي كان الباشا يلاقيها لأرضاء حلفائه الخطرين هؤلاء .

ولقد بدأت الامكانيات تنضب لكن باي بنغازي رجع إلى طرابلس يوم ١٤ يونيو ١٧٩٣ م فعادت معه الثقة إلى النفوس - ولو عاد هذا الأمير في ظرف عادي لكان الاحتفاء به كبيراً فكيف وقد عاد في لحظة ليست فيها الحاجة إلى سداد رأيه بأقل من الحاجة إلى سخاء نجداته . ولم يخيب الآمال المعقودة عليه . بيد أن

حل الازمة لم يكن في متناول أحكم الناس وأفطنهم ولم يساعد على حلها تميزها المشؤوم .

كانت المدينة محاصرة منذ أكثر من خمسين يوما والاعمال العدوانية تتتالى بسرعة لم تترك لاهل طرابلس هواده . ولم يبق لهم من أمل في غير الحاجي سالم أغا المنتظر وصوله من مصراته . وكان الباشا يعول على مساعدته خاصة وأنه زيادة على وفائه وشجاعته المعروفين كان العدو اللدود لسيدى يوسف الذي سبق أن أهانه اهانة مقذعة . لكن سيدى يوسف كان يسيطر على الريف بكامله حتى أن حاجي لم يتمكن من أن يجمع أكثر من أربعمئة فارس تقريبا كما جمع مائتين من المشاة دخل على رأسهم الى المنشية ، القرية الكبرى المجاورة للساحل أملا أن يناصره بقية الفرسان .

وكانت المعركة المحكمة التخطيط وشجاعة الحاجي كفيلتين باحراز النصر لولا خذلان النوايل الجبان اياه . اذ بقوا مكتوفي الايدي وتركوه أكثر من أربع ساعات معرضا لنيران ما يربو على أربعة آلاف رجل كانوا في مواقع محصنة . فاضطر أخيرا للانسحاب بعد أن تكبد خسائر جسيمة في الرجال .

وأشاعت هذه الهزيمة النكراء الاسى في النفوس ونجم عنها تثبيط للعزائم كما أحدث تغاذل النوايل تدمرا علنيا حتى بات يخشى حدوث انشقاق بين لحظة وأخرى . وكان سيدى يوسف يوشك أن تكلل مساعيه بالانتصار اذ جد حدث غريب أربك كل التوقعات وأدى الى هدنة مؤقتة عقببتها حرب أشد ضراوة من

٢٠ - (مصطفى خوجه) يقول أحمد النائب في كتابه المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ص ٣١٢ - المرجع المذكور - عن مصطفى هذا بأنه الشيخ الاريب ذو الذكاء العجيب والادب الظاهر والحفظ الباهر والفتنة النقاوة الكاتب مصطفى بن (قاسم) المصري كان ولدا بطرابلس ونشأ وقرأ العلوم بها ، ونال علما وافرا ، ثم استخلصه علي باشا قرمانلي لخدمته واتخذته مستشارا وكبير الكتاب ، ونال لديه حظا تاما وحسنت سيرته . انظر كذلك الحوليات الليبية ص ٥٠٦ .

الاولى ويستحيل حتى الآن التنبؤ بمدى دوامها وبناتجها . بيد
أنها دون شك ستسبب في دمار هذا البلد المسكين .

كانت تلك حال المدينة عندما برزت في الافق سبع سفن (٢١)
خمس منها كانت تحمل العلم التركي فحولت الانظار عن الحرب
وأضافت الدهشة الى جملة الاحاسيس التي كانت تختلج في صدور
الناس .

رسا هذا الاسطول الصغير في ميناء طرابلس يوم ٢١ يوليو
عام ١٧٩٣ م . ولما ذهب زورق قائد الميناء لتقصي الاخبار تم
احتجازه . وفي لحظة أنزلت كل القوارب المسلحة ثم تلا
(الشاوش) (٢٢)* على المجلس المجتمع بغرفة رئيس البحرية
فرمانا (٢٣) سلطانيا تضمن خلع الباشا وتعيين سيدي علي (٢٤)

٢١ - نلاحظ هنا اختلاف المراجع المذكورة في تاريخ وعدد سفن الحملة فبينما
يقول الكاتب انها سبع سفن وكانت خمس فقط تحمل العلم التركي نجد ان
كوستانزيو برينا يقول في كتابه طرابلس ١٥١٠ - ١٨٥٠ ص ٢٧٢ ان
الاسطول مكون من ست قطع ، ويقول فيرو ان عدد السفن كان ثمان وهي
شراعية وتحمل العلم العثماني (الحوليات الليبية ص ٥١٠) ، ويزيد ر.
فادالا في العدد فيقول انها تسع سفن - أما من ناحية التاريخ فيتفق فادالا
مع فيرو على ان التاريخ هو ٢٩ يولييه سنة ١٧٩٣ م ، ويقول الكاتب هنا
ان ذلك كان يوم ٢١ يولييه سنة ١٧٩٣ م ، وللاختلاف وجب التنبيه .

٢٢ - (الشاوش) يقول فيرو في الحوليات الليبية ص ٥١٢ - ان سلطة العثمانية
كانت قد رفضت حتى تزويده (أي علي برغل) بشاوش سلطاني ، وان
ذلك العجز الذي ادعى انه هو الشاوش ، لم يكن في حقيقة الامر سوى
مجرد خادم من خدم القبودان - باشا - اخو علي برغل . اما فيما يتعلق
بالفرمان السلطاني نفسه ، فقد صيغ في اسلوب مبهم بحيث يمكن اعتباره
فرمانا اصيلا او مزيفا تبعا للوجهة التي ستتخذها الاحداث - انظر
الحوليات الليبية ص ٥١٢ .

* كذا في النص

٢٣ - كان السلطان العثماني في ذلك الحين هو السلطان الغازي سليم خان الثالث
انظر المنهل العذب ص ٢٩٩ .

٢٤ - المقصود هنا بعلي الجزائري او علي برغل كما يسميه البعض ، وهو مغامر
ليس معروفا اصله على وجه التحديد ، فيقول برينا انه يعرف ايضا باسم
سيدي علي بن آدم ، وكان مغامرا تركيا من اصل يوناني ، وكان مسؤولا
عاما عن البحرية في الجزائر ، وأصاب ثروة خيالية ، وطرد من الجزائر

←

خلفا له وهو الذي كان يشغل منصب وكيل خوجه بالجزائر* .
ولقد رأى أهل طرابلس في هذا الحدث عناية الهية فلقد
أنهكتهم الحرب ثم أنهم كانوا فوق ذلك قلقين لامكانية دخول
سيدي يوسف شبه الاكيدر مدينتهم . فاستسلموا دون مقاومة
لحاكمهم الجديد المرسل اليهم . واستولى مائتا تركي على الحصون
وانتقلت طرابلس بسرعة سحرية حقا الى حاكم وحكومة جديدتين .
وعبثا أصدر الباشا أوامر بالدفاع فقد بايع بعد قادة البلاد
حاكمهم الجديد وحذا الشعب تلقائيا حذوهم . ولم ينج الباشا
التعيس الحظ من الموت الا بفراره على عجل صحبه أسرته وعدد
من خدمه المخلصين . وهكذا وفي لحظة خلعه عن عرش آجداده
وخذل شر خذلان ونفي في خزي .

وقد بلغت قبيلة النوايل قمة الغدر بأن جردته من بقايا عزته
التليدة بعد أن أسهمت في تقويض سلطانه . وان الشعور بالشفقة
الذي يتملكنا على هذا الامير الذي تعاقبت عليه المحن الاليمة
الغاشمة لا يقل عن اعجابنا بشجاعته التي مكنته من الصمود
أمامها .

وأخيرا وبعد عناء شديد وصل هذا الامير صفاقس (٢٥)
واستقبل بالتبجيل اللائق بمقامه وبمصائبه .

→
لسوء مسلكه الخ... انظر كوستانزيو برينا في طرابلس من ١٥١٠-١٨٥٠
ص ٢٧٢ - ويقول فيرو في العوليات الليبية ص ٥١٠ - ٥١١ - ان علي
أفندي هذا هو عبح اصله من جورجيا كان يلقب باسم علي الجزائري بسبب
اقامته السابقة في الجزائر . اما مسز توللي فانها تسميه علي بن زول
انظر عشر سنوات ص ٥٦٠ - ٥٦١ وكذلك المنهل ص ٣٠١ .

* المعنى غير واضح في هذا المنصب - وقد رأى د. عبد الكريم الوافي أن المقصود
قد يكون وكيل خراج الجزائر - (المترجم) .

٢٥ - ذهب الباشا الى تونس حيث كان باي تونس حمودة باشا صديقا له ،
فمنحه حق اللجوء الى تونس والاقامة عنده - انظر المنهل العذب ص ٣٠٢
برنيا في المرجع المذكور ص ٢٧٣ ، ولو انه ينطق اسم باشا هونس محمود
بك وليس حمودة .

كانت المواصلات بين طرابلس والريف مقطوعة فلم يتمكن سيدي يوسف من الاطلاع على كل ظروف هذا الحادث . كما أن فرار والده الذي لم يعلم به الا متأخرا جعله يعتقد بأن قوات الباشا الجديد أقوى بكثير مما هي عليه في الواقع . فاقصر على التمرکز في مواقعه المتفوقة منتظرا الاستفادة بمعلومات أدق ومن تحركات خصمه .

وأبى سيد أحمد الا أن يتبع أباه وأن يلزمه الى أن رآه في مامن^(٢٦) . وبعد أن قام بهذا الواجب الاول أقر العزم على أن يتحد مع سيدي يوسف لاسترداد عرش آبائهما . ولم يخش في هذا الشأن أن يفوض أمره الى أخيه . فبعث يعلمه بقرب قدومه عليه وأوضح له ضرورة التخلي عن خصوماتهما وعدم تعريض مصالحهما المقدسة للخطر بهذه التفرقة المشؤومة اكثر مما عرضاها ثم انه لحق به اثر رسالته مباشرة فوجد أخاه على أتم استعداد للمصالحة . وسلمت له القيادة بالاجماع ومنذ ذلك الحين لم يعكر صفو وفاقهما معكر .

وفي الاثناء تربع الباشا الجديد على العرش بكل هدوء مستبشرا لخضوع أهل طرابلس الطوعي والتام أملا أن ينعم بعهد من السلام .

ورأى أن الطريقة المثلى للابقاء عليهم في هذه الحال هو أن يعلن لهم نظام حكم نقيض ذلك الذي يبدو أنهم لا يأسفون عليه . فنعت لين خلفه بالميوعة ووعد الناس بصرامة لا هوادة فيها . واعتبر الاحترام الذي كان النصارى ينعمون به مساسا بكرامة المسلمين فقرر أن يجفوهم بما يلائم قدرهم الحقيقي^(٢٧) . أما أهل طرابلس الذين كانوا بالامس بسطاء وديعين سعداء

٢٦ - لعل المقصود بمكان الامان هو تونس .

٢٧ - كان هذا الباشا علي برغل قد اساء الى الجميع ، وكان متعجرفا يفرض حتى على القناصل عدم المثول بين يديه مسلحين وان يقبلوا يده بل وان يخلعوا أحذيتهم أيضا عند الدخول اليه . انظر العوليات الليبية ص ٥١٨ .

فانهم باتوا ينجلون مما فرطوا فيما سلف في قدرهم الحقيقي وطفقوا يتداركون ذلك بطريقة تذكرنا بمحدثي النعمة . فلم يضعوا حدا لشططهم ولا لصلفهم المزري .

ويشاركون حاكمهم الجديد خيلاءهم هذه وهو يرى أن قوته مستقبلا ستكون مطلقة ، مفترا في ذلك بسهولة انتصاراته - فهو يعتزم على رأس مائتي قرصان من الاتراك ومائتي يوناني أن ينتزع من التونسيين مدن صفاقس وسوسة والمنستير والحمامات لا أقل من ذلك علما بأن هذه المدن كانت قديما تابعة لطرابلس (٢٨) .

ووجود سيدي يوسف على مقربة من طرابلس لا يشكل في رأي سيدي علي - عقبة في وجه مشاريعه الواسعة مع أن الحكمة تملي عليه اقصاءه - فتكرم بتعيينه حاكما لبнгаزي . وتظاهر سيدي يوسف بقبول العرض وأرسل العديد من المشايخ يقدمون للبasha الجديد باسمه آيات الولاء والطاعة (٢٩) . وبعث مع هذا الوفد البشير بفرس جواد وزنجية حسناء واعدة بأن يمثل هو نفسه حالما يستعيد راحته من متاعب الحرب السالفة وفوضاها (٣٠) .

٢٨ - كان علي برغل قد ارسل بعض مجموعته بقيادة كاره مصطفى للاستيلاء على جزيرة جربة ، ويقول أحمد النائب ان اسم هذا القائد هو (قره محمد) وقد استولى هذا عليها دون قتال ، ولكن حاكمها لحمودة باشا (حميدة بن قاسم بن عياد) استطاع الهروب على ظهر مركب الى صفاقس ، وأسرع بإبلاغ حكومته بالأمر ، فوجه حمودة باشا باي تونس جيشا لاستردادها بعد ان استمر احتلالها مدة ٥٨ يوما - انظر المنهل العذب ص ٣٠٢-٣٠٥ ، وكذلك الحوليات الليبية ج ٢ ص ٥٢٢ - ٥٢٣ - وكذلك برنيا في طرابلس من ١٥١٠ : ١٨٥٠ ص ٢٧٧ .

٢٩ - كان سيدي يوسف يقصد من وراء ارسال هذا الوفد فائدة مزدوجة ، فكان يتصرف بحنكة سياسية عالية تتعدى سنة ، وكانت مهمة بعض أفراد هذا الوفد هي استطلاع أحوال المدينة والعمل على جلب أكبر كمية من بارودها وذخائرها الى سيدي يوسف . انظر الحوليات الليبية ص ٥١٧ .

٣٠ - كان علي برغل قد بعث في طلب يوسف القرماني وأمره بسرعة الحضور اليه ، كما ارسل اليه بقفطان نفيس وطلب قدومه الى طرابلس لحضور ديوان البasha الذي كان سيعقده وكان سيظهر من شدة فرحته ، ولكن يوسف كان يقظا - انظر مسز تولي عشر سنوات في بلاط طرابلس ص ٥٧١ .

واطلع مبعوثوه المحنكون على كل ما شاهدوه بعد أن أحسن
الباشا توديعهم . فعرف سيدي يوسف مدى ضعف خصمه وبرز
من الغد على رأس قواته مجتمعة وكان سيدي أحمد قائد العمليات
تلك .

ولقد استمد هذان الاميران اللذان وحدث بينهما المحن من
وفاء رعاياهما وتفانيهم في خدمتها عزاء جميلا وأملا وطيدا في
الانتصار .

ولم تعد الحرب مجرد تنافس بين احزاب ولم يعد الطموح ولا
المصلحة الخاصة دافعيها ، انما أصبح الناس يقاتلون بأموالهم
وأنفسهم دفاعا عن القرمانليين وفداء لاميرهم الشرعيين متعلقين
بهما عن طيب خاطر مضمينين حقدا شديدا لذلك الذي يعتبرونه
غاصبا دخيلا .

وعم هذا الحماس المؤثر النبيل بسرعة فائقة حتى لكان سيدي
علي ما جاء الا ليجعل من انتصار عدويه انتصارا مبينا . فلم
يلبث أن تحصن داخل المدينة منتظرا قدوم جيش قوي قادر على
سحق المتمردين حسب زعمه .

وبدأ أهل طرابلس يندمون على خيانتهم المتسعة لحاكمهم
السابق بيد أن قادتهم الذين كانوا يخشون نقمة سادتهم السابقين
(لو عاودهم النصر) كانوا يشجعون سكان المدينة بالوعود المغرية
ويسيطرون بمراقبتهم مراقبة شديدة . أما الاتراك (من أهل
طرابلس فانهم كانوا يعلمون) بأنهم لم يبق لهم أي أمل في
العودة (الى بلادهم لو عاد القرمانليون للحكم) * وأن الرق
سيكون أول عقاب لهم لقاء خيانتهم . فأسلموا أمرهم لقضاء الله
وقدره بعد أن تأكدوا من استحالة النجاة من المصائب التي
يخشون حلولها بهم .

* الجملة في المخطوطة مشوشة ولا معنى لها ولا شك ان أخطاء نسخية هي المتسببة
في تحريفها ، وقد أضفنا ما بين قوسين مؤولين معنى الجملة انطلاقا مما ورد
فيها واستنادا على السياق - المترجم -

أما سيدي علي فانه كان يواجه كل هذه العقبات بعزيمة لا تتزعزع - ولا يسع المرء الا أن يبدي اعجابه بقيادته الحكيمة في ظروف حرجة كهذه والحكمة في الاستفادة من أبسط وسائل النجاح . فهو يعرف كيف يمسك الشعب ويستميله كما يعجب المرء بنشاطه الذي لا يعرف الكلل والذي يراقب به كل الحركات ويكشف به كل المؤامرات .

غير أنه يبدو أن جميع الحيل نفذت الآن وأن عداء الاعراب قد زاد بازدياد صمود أعدائهم (داخل طرابلس) وان لم تكن مقاومة هذا الباشا بالنجاح فاننا لا نستطيع أن نفكر دون هلع في ما قد يدفعه اليه يأسه بعد أن أقدم على التضحية بثروته للحصول على فرمان لا جدوى منه . كما أننا لا نستطيع أن نفكر في ما قد يدفعه حنقه على أهل طرابلس الذين خدعوه بأن صوروا له هذه الحملة بنفس السهولة التي بدت له نظريا . اذ كيف نفهم مجيئه الى طرابلس بعدد الجنود لا يكاد يكفي لحراسته الشخصية ان لم يكن يعتقد أنه مرتقب وصوله ومرغوب فيه عموما - ولا شك أنه كان يعول على الاستيلاء على الحكم بطريقة سلمية لا على حرب لا يمكن لخيلائه أن تمنعه من التخوف من عواقبها .

ولم تكن الامدادات القليلة التي تلقاها في فترات مختلفة تحمل ما يبرهن على حماية الباب العالي الصريحة له - وقد استطاع أخوه القائد البحري الكبير^(٣١) باغداقه الاموال أن يجند له جنودا دون عناء خاصة وان الاتراك كثيرا ما يدفع بهم حب الاثراء نحو البلدان المفتحة حديثا .

٣١ - يقول أحمد النائب في المنهل العذب ص ٣٠٠ ان علي برغل قد أتى دار الخلافة العلية (القسطنطينية) فوجد اخاه كاهية لقبودان باشا ، ويقول برنيا (طرابلس من ١٥١ : ١٨٥٠ ص ٢٧٣) ان اخاه هذا كان له نفوذ لدى السلطان مما ساعده على الحصول على تعيينه واليا على طرابلس . انظر كذلك تفاصيل اكثر في لمحة عن حياة هذا الباشا وكيفية توصله الى عرش طرابلس في العوليات الليبية ص ٥١١ - ٥١٢ .

وباستثناء فرقة مكونة من مائة وخمسين أرناؤوطيا قدموا معه ويكلفه الانفاق عليهم الكثير ، يبدو أن بقية جنده انما كانوا خليطا من الافاقين الذين طردهم من بلدانهم بؤسهم وطمعهم في السلب والنهب . ولم يكن نفوذ أخيه كافيا ليرسل اليه الكابودجي حامل القفطان الذي هو أقل تكاليف وأكبر وقعا - ولا شك أن حب الترك للابهة والمظاهر قد خدش في شخص الباشا نتيجة لاهمال السلطان لذلك .

ويبدو أن السلطان برفضه هذا الانعام الضروري والمعتاد انما اكتفى بعدم الممانعة في ارسال باشا جديد الى طرابلس على مسؤولية هذا الاخير على افتراض أن يكون الاستياء من الحكومة السابقة استياء عاما لكي لا يجد الباشا الجديد معارضة قادرة على تهديد سلطته وتهديد الدولة بأسرها .

وهل يمكن أن نفترض بأن السلطان سيوافق على مضايقة باي تونس وباي الجزائر عدوي سيدي علي الحقيقيين والطبيين والذين تملي عليه تصرفات روسيا المشبوهة حيالهما أن يجاملهما ؟ وبأنه سيوافق على تجنيد العديد من الجيوش وارسالها الى طرابلس في الوقت الذي قد يحتاج فيه الى قواه - كل ذلك من أجل رجل لا يضير الباب العالي أن يعامله معاملة المغامر مثلما فعل حتى الآن ؟

ألا يجدر به ، على العكس من ذلك ، معاقبة الذين تجرأوا على خداعه بأن صوروا له رغبة أهل طرابلس في تغيير الحاكم والحكومة على أنها رغبة جماعية ؟ يمكننا اذن ان نرد امكانيات الباشا الى مجرد حماية أخيه له وذلك أساس غير مكين اذ أن خطوة أخيه لا شك زائلة في ظل حكومة استبدادية مثل حكومة الباب العالي ، خاصة وأن ثروته الطائلة انما هي نذير شبه أكيد بقرب سقوطه .

يبدو أن حسن طالع سيدي علي جعله أخيرا يتغلب على كل العقبات ويربك كل التوقعات والاحتمالات كما منحه لقاء مثابرتة الشجاعة عرشا ما كان ضعف وسائله ليخضعه له لو لم يخضع

هو نفسه الحط بحكمته البالغة ويقظته التي لا تعرف الكلل
وعبقريته الواسعة اللينة العريكة .

فرغم أن شعبا كاملا يضرب الحصار حوله منذ أكثر من سنة وانه
أثناء ذلك وقع مرارا في عوز تام للمؤن والذخيرة الحربية ، ورغم
تخوفه من المؤامرات الداخلية والحملات الخارجية على حد السواء ،
ورغم اضطراره الى أن يتحمل في صمت التهديدات والشتائم
الفاحشة التي كان العدو يأتي ليقينها تحت جدران قصره ذاتها .
ورغم أنه مدين بحياته للامبالاة والعجز الذين هو فيهما ، فانه
كان يتبع خطته بمثابرة لا تتزعزع لوثوقه أنه لن ينتصر الا عن
طريق الاغراء فهو لا يهمل أي سبيل لتفرقة القواد وجعلهم يتعلقون
به عن طريق الوعود والعطايا السخية . وهو يتبع الارهاب داخل
المدينة كما هو في خارجها يدعو الى الاعتراف بحكمه عن طريق
الاحسان . فأعداء سيدي يوسف القدامى اقتربوا من الباشا
الجديد وهذا حاجي سالم قد وضع نفسه على رأسهم وأحرز في
جنزور انتصارا يبدو أنه قضى على كل أمل للقرمانليين في العودة
الى الحكم .

أما الساحل والمنشية فانهما قد تم اخضاعهما بل وتجريدهما
من السلاح أو هما يبدوان كذلك — واما الاميران اللذان اضطرا
للتقهقر بعيدا نحو الدواخل فانهما لم يعد في وسعهما غير بث
الارهاب في الريف واعتراض القوافل ونهبها والقضاء بذلك على
تجارة طرابلس مع الدواخل ومع فزان — وان استحالة اخضاعهما
وضرورة الاستعاضة عن هذا النقص الهائل في الموارد سيدفعان
الباشا لا محالة الى تسليح قراصنة وقد باتت أكثر من دولة تتهددها
الحرب .

غير أن هذه الانتصارات الباهرة ما زالت لم تثبت سيدي
علي بشكل نهائي — فهو ما يزال حتى الآن لا يخيف داي الجزائر
ولا حتى باي تونس وهما اللذان من صالحهما التصدي لتزايد
سلطانه واللذان سيبادران دون شك باغتنام الحرية التي تركها

لهما السلطان على ما يبدو - وخاصة متى شعرا بضرورة القضاء في المهد على منافس قد يتزايد خطره يوما بعد يوم (٢٢) .

وظل الاميران وسيظلان على مدى يمكنهما من الاستفادة من كل التدابير ومن مساعدة المتذمرين الذين لن يلبث حلف الغالب أن يوجههم ويمكنهما من الاستفادة من اثارة الحقد الشديد الذي يوليه سكان شمال افريقيا لحكم الاتراك ، ولعلمهما وافقا أو على الاقل قررا اقامة هدنة تعيد المواصلات وتضطر الباشا الى تشتيت قواته التي ما زالت قليلة العدد فيتيسر لها شن حملة يطردان بها الدخيل . وتاريخ طرابلس حافل بمثل ذلك ، وباختصار يمكن القول بأن القضاء على الاميرين هو وحده الكفيل بتثبيت سيدي علي بصورة مكيئة وحتى ذلك الحين سيظل عرشه متداعيا غير ثابت (٢٢) .

٣٢ - تجدر الاشارة هنا الى انه كانت هناك عداوة بين باي الجزائر وباي تونس في تلك الفترة . انظر المنهل العذب ص ٣٠٢ .

٣٣ - هذا ما جرى بعد ان ذهب يوسف واحمد القرماني ولحقا بأبيهما في تونس ثم ارسل معهما حمودة باشا باي تونس جيشا بقيادة مصطفى خوجه سار جزء منه الى طرابلس ، وجزء منه بقيادة ابي الحسن لاسترجاع جزيرة جربة من علي برغل - واستطاع هذا الجيش في نهاية المطاف أن يسترجع طرابلس من حكم علي برغل ، وتنصيب أحمد القرماني واليا على عرش طرابلس استمرارا لحكم أسرته السابقة . انظر المنهل العذب ص ٣٠٢ - ٣٠٧ ، وانتهيار حكم الاسرة القرمانية ص ٧٠ - ٧٧ والحوليات الليبية ص ٥٢٢ - ٥٢٦ .

أسماء الأعلام

٤٠	أرناؤوط
٣٨ ، ٣٦	أهل طرابلس
٤٢ ، ٤١ ، ٤٠	باي تونس
٤٢ ، ٤١ ، ٤٠	باي (داي) الجزائر
٤١ ، ٣٣	حاجي سالم آغا
٢٢	دوكان
٣١ ، ٢٩	سليمان الباني
٣٨ ، ٢٨ ، ٢٦ ، ٢٤ ، ٢٣	سيدي أحمد
٣١ ، ٢٣	سيدي حسن باي
٤٢ ، ٤١ ، ٤٠ ، ٣٩ ، ٣٨ ، ٣٧ ، ٣٤	سيدي علي
٣٠	سيدي عمورة
٢٩	سيدي محمد
٣٢ ، ٣١ ، ٢٨ ، ٢٧ ، ٢٦ ، ٢٥ ، ٢٣	سيدي يوسف
٤١ ، ٣٨ ، ٣٧ ، ٣٦ ، ٣٥ ، ٣٣	
٤٢ ، ٤٠	سلطان
٢١	علي قرمانلي
٤٠	كابودجي
٢٦	كاهية
٢١	محمد باشا
٣٠	مصطفى خوجة
٣٥ ، ٣٣ ، ٣٢	نوايل

* اقتصر على ايراد رقم الصفحة التي ورد فيها الاسم مرة واحدة

أسماء الأماكن

٢٣ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٧	بنغازي
٤١	جنزور
٣٧	حمامات
٤٠	روسيا
٣٠ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٤١	الساحل
٢٦ ، ٢٧	سقيفة
٣٧	سوسة
٣٥ ، ٣٧	صفاقس
٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٤ ،	طرابلس
٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ،	
٤٢	
٤١	فزان
٣٣	مصراته
٣٧	منستير
٣٣ ، ٤١	منشية

* اقتصر على ايراد رقم الصفحة التي ورد فيها الاسم مرة واحدة .

للصدر والملك

المراجع العربية

- ١ - الانصاري (احمد بك النائب) :
« المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » - منشورات مكتبة الفرغاني -
طرابلس - ليبيا - الطبعة الثانية - بدون تاريخ .
- ٢ - البرغوثي (عبد اللطيف محمد) :
« تاريخ ليبيا الاسلامي من الفتح الاسلامي حتى بداية العصر العثماني » ،
منشورات الجامعة الليبية - دار صادر - بيروت - ١٣٩٣ هـ .
- ٣ - بن اسماعيل (عمر علي) :
« انهيار حكم الاسرة القرمانلية في ليبيا » ، منشورات مكتبة الفرغاني -
طرابلس ليبيا - الطبعة الاولى - دار العلم للملايين بيروت سنة ١٩٦٦ .
- ٤ - برنيا (كوستا نزيو) :
« طرابلس من ١٥١٠ الى ١٨٥٠ » ، تعريب خليفة محمد التليسي ،
منشورات دار الفرغاني - طرابلس ليبيا - ١٩٦٩ م .
- ٥ - توللي (ريتشارد) :
« عشر سنوات في بلاط طرابلس » ، تعريب عمر الديراوي بوحجلة ،
منشورات مكتبة الفرغاني - طرابلس ليبيا - بدون تاريخ .
- ٦ - فيرو (شارل) :
« الحوليات الليبية » ، ترجمة محمد عبد الكريم الوافي ، منشورات دار
الفرغاني - طرابلس ليبيا - (المقدمته بتاريخ ١٩٧٣ م) .

٧ - لويس رايت وجوليا ماكليود :

« الحملات الامريكية على شمال افريقيا في القرن الثامن عشر » ،
تعريب محمد روي البعلبكي - منشورات مكتبة الفرجاني - طرابلس ليبيا
مطابع دار العلم للملايين - بيروت ١٩٦٧ م .

٨ - ناجي (محمود) :

« تاريخ طرابلس الغرب » ترجمة عبد السلام ادهم ومحمد الاسطى . -
منشورات الجامعة الليبية - مطبعة الغريب - بيروت .

المراجع الاجنبية

- 1 — R. VADALA, "Essais sur l'Histoire des Karamanlis, Pachas de la Tripolitaine de 1711 à 1835.
Revue de l'Histoire des Colonies Françaises, VII/2, 1919.
- 2 — SLOUCH (N.), La Tripolitaine sous la domination Karamanli.
Revue du Monde Musulman, VI Sept. 1908.

اَقْسَمُ الْاَجْنَبِي

au moins sans peine une crue
qui rétablissant les communications,
et nécessitant une division. Les forces
du Pacha encore très peu considérables
facilitent une entreprise et une expul-
sion dont l'histoire de Tripoly fournit
des exemples. la tête des deux s'élève
seule en un mot l'établir solide-
ment et surques alors son trône sera
chancelant et incertain.

Histoire du Règne d'Ali Caramanly Pacha de Tripoly de Barbarie.

Ali Caramanly succéda à Mahmet Pacha son père, et monta sur le trône de Tripoly, l'an de l'Ere chrétienne mil sept cent cinquante six. Le début de son règne fut peu conforme au caractère humain qu'il développa dans la suite; et la douceur de son gouvernement, sa bienfaisante popularité envers ses sujets, l'affectueuse protection que les Chrétiens trouvaient toujours auprès de lui, ont fait oublier des excès qui revoltent justement nos mœurs, mais, qui semblent en quelque sorte autorisés par le cruel usage qui les consacre et souvent justifiés par la nécessité de prévenir les attentats des Compétiteurs.

Il gouverna avec justice et modération à Tripoly, qui étoit autrefois regardé avec

Suite de l'histoire
de la Régence de Trisolide
à Harburie.

Règne d'Ally Caramanlu
1793.



INDEX DES TOPONYMES

N.B. Le mot n'est signalé Ci-dessous qu'une seule fois par page

Bengaz,	17 — 21 — 25
Esquif,	19
Fezzan,	27
Golphe,	23
Hammamet,	25
Messie,	23 — 27
Mesurat,	22
Monastir,	25
Russie,	26
Sahal,	21 — 23 — 27
Scio,	17
Sfax,	25
Soussa,	25
Tripoli,	17 — 21 — 23 — 24 — 25 — 26 — 27
Zamzour,	27

INDEX DES NOMS PROPRES

N.B. Le mot n'est signalé Ci-dessous qu'une seule fois par page.

Ali Caramanly,	15 — 7
Arnaouts,	26
Bey (Dey) d'Alger,	26 — 27
Bey de Tunis,	26 — 27
Capoudgi,	26
Caramanly,	25 — 27
Duquesne,	17
Grand Seigneur,	23 — 26 — 27
Hagi Salem Aga,	22 — 23 — 27
Khanznadar,	21
Kiaya,	19
Mahmet Pacha,	17
Moustaiha Khodja,	21
Nouailles,	22 — 23 — 24
Sidi Achmet,	17 — 18 — 19 — 20 — 24 — 25
Sidi Ahssan Caramanly (Hassan),	17 — 21
Sidi Ali,	23 — 25 — 26
Sidi Amoura,	21
Sidi Hassen Bey,	17 — 18
Sidi Mahmet,	20
Sidi Yousseph,	17 — 18 — 19 — 20 — 21 — 23 — 24 — 25 — 27
Soliman Béni,	20 — 21
Tripolins,	21 — 22 — 23 — 24 — 25 — 26

sa courageuse persévérance un trône que la faiblesse de ses moyens ne lui aurait jamais conquis si une /37/ prudence consommée, une vigilance infatigable, un génie vaste et souple ne lui eussent assujéti la fortune. [Assiégé depuis plus d'une année par un peuple entier, réduit maintes fois pendant cet intervalle à une disette absolue de vivres et de provisions de guerre, ayant autant et plus à craindre des trames internes que des entreprises extérieures] (F. 297), obligé de dévorer en silence les menaces et les injures atroces que l'ennemi venait vomir sous les murs même de son château, ne devant son salut qu'à sa négligence et à son impéritie, il suit son plan avec une constance imperturbable, persuadé qu'il ne peut réussir que par la séduction. Il ne néglige aucun moyen de diviser les chefs et de se les attacher par des promesses et des largesses. /38/ Il regne au dedans par la terreur, au dehors il dispose, par ses bienfaits

à reconnaître son pouvoir. Les anciens ennemis de Sidi Yousseph se rapprochent de lui. Hagi Salem se met à leur tête et remporte à Zamzour (47) une victoire qui semble ôter à jamais aux Caramanly l'espoir de rentrer dans leurs états.

Le Sahal et la Missie sont, ou semblent être, soumis et même désarmés. Les Princes, obligés de se retirer dans l'intérieur des terres, ne pourront plus qu'inquiéter la campagne, intercepter, piller les caravanes et ruiner ainsi le commerce de la ville avec l'intérieur des terres et le Fezzan. L'impossibilité de les soumettre et la nécessité de remplacer un vide aussi considérable obligera le Pacha à armer des corsaires et plus d'une république sont déjà menacées de la guerre.

/39/ Des succès aussi brillants ne l'affermissent cependant pas encore d'une manière inébranlable. Il n'est encore redoutable ni pour le Dey d'Alger ni pour le Bey même de Tunis qui ont un intérêt égal à s'opposer à l'accroissement de sa puissance et qui profiteront sans doute avec d'autant plus d'empressement de la liberté que paraît leur laisser à cet égard le Grand Seigneur qu'ils sentiront la nécessité d'anéantir dans son enfance un concurrent qui, chaque jour, deviendrait plus dangereux.

Les Princes sont et se tiendront constamment à portée de profiter de toutes les dispositions et de seconder les mécontents que fera dans peu l'insolence du vainqueur, de fomenter l'antipathie extrême que les maures ont pour le gouvernement turc. Et, peut-être ont-ils consenti, ou /40/ au moins vu sans peine, une trêve qui, rétablissant les communications et nécessitant une division des forces du pacha encore très peu considérable, facilitent une entreprise et une expulsion dont l'histoire de Tripoli fournit des exemples. La tête des deux Princes peut seule, en un mot, l'établir solidement et jusqu'alors son trône sera chancelant et incertain/f.

47. Djanzûr, Zanzûr, se situe à 15 kms environ de Tripoli.

un *firman* inutile, et le dépit d'avoir été trompé par ceux des Tripolins qui l'ont engagé à cette expédition en lui faisant croire cette conquête aussi facile qu'elle lui a paru à lui-même dans le principe. Comment concevoir, en effet, qu'il fut venu à Tripoli avec un nombre de soldats à peine suffisant pour la garde de sa personne s'il n'eut pas cru être attendu et, généralement, désiré. Il comptait sans doute sur une prise de possession paisible et non sur une guerre dont toute sa présomption ne saurait l'empêcher de redouter l'issue.

Les secours partiels qu'il a reçus à différents intervalles ne portent pas le /34/ caractère d'une protection ouvertement déclarée de la Porte. Son frère Vice-Amiral (42) a pu, en prodiguant l'argent, lui faire d'autant plus facilement des recrues que les Turcs sont aisément attirés par l'appât de la fortune dans un pays nouvellement conquis; et qu'à l'exception d'un corps de cent cinquante Arnaouts (43) qui sont venus avec lui et qu'il entretient à grand frais, ses autres troupes paraissent un amas de gens sans aveu quela misère et l'espoir du pillage ont banni de leur pays.

Son crédit n'a pas suffi pour obtenir l'envoi, moins dispendieux et plus imposant, d'un Capoudgi (44) porteur du *Costan* (45). Le goût connu des Turcs pour le faste et la représentation ne peut qu'être extrêmement blessé par l'omission de l'autorité; et le Grand Seigneur, en refusant une faveur si nécessaire et si commune /35/ paraît n'avoir donné que son consentement à l'envoi d'un nouveau Pacha à Tripoli, à ses risques et périls, dans la supposition où le mécontentement de l'ancien gouvernement fût assez général, pour que le nouveau venu n'éprouvât pas d'opposition capable de compromettre son autorité et la puissance.

Peut-on présumer que le Grand Seigneur consentira à indisposer le Bey d'Alger et le Bey de Tunis (46), les ennemis nécessaires et naturels de Sidi Ali, et vis à vis desquels les dispositions équivoques de la Russie lui prescrivent des ménagements, consentira à des levées et exportation considérables de troupes dans le temps où il peut avoir le plus besoin de toutes ses forces, et cela dans la seule vue de protéger un homme qu'il n'importe pas moins à sa gloire qu'à son intérêt de traiter en aventurier ainsi qu'il l'a fait jusqu'à /36/ présent.

Ne lui convient-il pas, au contraire, de punir les téméraires qui ont osé l'abuser en lui présentant comme unanime le vœu des Tripolins de changer de maître et de gouvernement? On peut donc réduire les ressources du Pacha à protection de son frère, base peu solide, puisque son crédit est nécessairement précaire dans un gouvernement aussi arbitraire que la Porte et que l'immensité de sa fortune est un présage presque certain de sa chute prochaine.

L'heureuse étoile de Sidi Ali paraît enfin le faire triompher de tous les obstacles, confond toutes les conjectures, toutes les probabilités et accorde à

42. cf. Cf. Féraud, op. cit., p. 291 et R. Micacchi, op. cit., p. 129, deux épisodes de recrutement.

43. Arnaouts. D'après Rossi, op. cit., p. 248, ce sont des Albanais musulmans marins, mais il traite de 1768. Tully, cependant, en fait des Turcs du Pont Euxin.

44. Capoudgi Pacha, envoyé personnel du Sultan, chargé de' établir lors de chaque retour de mission un rapport à l'intention du Sultan.

45. *Costan*, pour *Caftan* (du turc *kofan*)

46. Hammûda pacha, ch. B Roy, Documents sur l'expédition de Tripoli en 1209/1795, in *Revue Tunisienne*, XII, 1906, p. 283-91, cité par E. Rossi, op. cit., p. 257

Leur nouveau maître partage leur délire. [Enivré de la facilité de sa conquête, il ne voit point de bornes à sa puissance future. A la tête de deux cents Yoldacks (39) et d'un nombre à peu près égal de Grecs, il ne se propose pas moins que de reprendre sur les Tunisiens, Sfax, Soussa, Monastir, Hammamet,] (F. 294) les villes autrefois dépendantes de Tripoli.

La présence de Sidi Yousseph ne peut être un obstacle à de si vastes projets mais la prudence ordonne de l'éloigner, et il se fait honneur de sa générosité en lui /30/ destinant le gouvernement de Bengazi. Sidi Yousseph feint d'accepter cette offre. Plusieurs Cheikhs viennent présenter l'hommage de sa reconnaissance et de sa soumission. Il fait accompagner ce message promettant d'un beau cheval et d'une belle négresse (en) promettant de se présenter en personne aussitôt que la fatigue et le désordre, suite de la précédente guerre, le lui permettraient. Ses adroits émissaires gracieusement congédiés lui rendent un compte fidèle de ce qu'ils ont vu. Il connaît la faiblesse de son adversaire et se présente le lendemain à la tête de toutes ses forces. Sidi Achmet dirige les opérations. Ces deux princes, unis par le malheur, trouvent dans la fidélité et le dévouement de leurs sujets la plus douce consolation et l'espoir le moins chimérique de leurs succès.] (F. 294)

Cette guerre n'est plus une simple concurrence de partis. [L'ambition, l'intérêt /31/ particulier n'en sont plus la cause. C'est pour le nom de *Caramanly* qu'ils combattent.] (F. 294) C'est à leurs Princes légitimes qu'ils se dévouent, qu'ils prodiguent leurs biens, qu'ils sacrifient leur vie. Ils s'attachent à eux par le sentiment de leurs propres bienfaits et vouent une haine implacable à celui qu'ils regardent comme un usurpateur. Ce noble et touchant enthousiasme se propage avec la plus active célérité. *Sidi Ali* semble n'être venu que pour coopérer à l'éclat du triomphe de ses ennemis. Il est bientôt obligé de se renfermer dans la ville en attendant du dehors une armée assez considérable pour réunir (40) ces prétendus rebelles.

Les Tripolins commencent à se repentir de leur imprudente lâcheté; mais leurs chefs qui ont tout à craindre du ressentiment de leurs anciens maîtres les encouragent par les plus brillantes promesses et les /32/ contiennent par la surveillance la plus rigoureuse. Le nombre des Turcs s'auraient (41) insensiblement tout espoir de retour leur est interdit. L'asservissement est le premier châtimant de leur perfidie; et l'impossibilité de se soustraire aux malheurs qui leur restent à redouter, les réduit aux consolations de la prédestination.

Sidi Ali oppose à tant d'obstacles une fermeté inébranlable. On ne peut refuser de l'admiration à sa conduite soutenue et adroite dans des circonstances aussi difficiles, à l'art avec lequel il tire parti des moindres avantages, – il sait contenir et s'attacher le peuple –, à l'activité infatigable avec laquelle il surveille tous les mouvements et déjoue tous les complots.

Toutes les ressources paraissent à présent épuisées. L'animosité des Arabes s'est accrue en proportion de la résistance /33/ de leurs ennemis; et si le succès ne couronne pas sa constance, on ne peut penser sans frémir aux excès auxquels pourra le porter le désespoir d'avoir sacrifié sa fortune pour obtenir

39. Les Yoldacks étaient des flibustiers turcs selon Féraud, op. cit. p. 293 où il copie le texte de notre manuscrit en substituant l'expression précédente au mot turc *Yaldash* (camarade marin).

40. Plutôt que "réunir", écraser, dispenser.

41. La phrase est corrompue par le copiste. Il est difficile de rendre ce qui manque. Lire éventuellement: "le nombre des turcs saurient que, ..., tout espoir de retour leur est interdit".

marquée de la providence et se livrèrent sans résistance au nouveau maître qu'elle leur envoyait.] (F. 291) Deux cents turcs s'emparent des forts, [Tripoli change de maître et de gouvernement avec une rapidité vraiment magique.] (F. 292) Inutilment le Pacha donne ordre de se défendre: Les chefs du Pays ont déjà rendu hommage à leur nouveau maître. Le peuple suit machinalement (35) cet exemple; et ce malheureux prince n'échape à la /26/ mort que par une fuite précipitée accompagné de sa famille et de quelques serviteurs fidèles; déchu dans le même instant du trône de ses ancêtres, lâchement trahi, ignominieusement proscrit. [Cette même horde des Nouailles qui avaient le plus contribué à sa ruine mirent le comble à leur perfidie en le dépouillant des débris de son ancienne puissance.] (F. 292) La compassion dont on ne peut se défendre pour un enchainement de malheurs si cruels et si peu mérités n'est pas moins vive que l'admiration pour le courage qui l'a fait y survivre. [Il arriva enfin avec beaucoup de peine à Sfax où il fut reçu avec les égards dus à son mérite et à ses malheurs] (F. 293)

Les communications entre la ville et la campagne étaient si étroitement fermées (36) que Sidi Yousseph ne put être ni (37) assez /27/ exactement

instruit de toutes les circonstances de cet événement. La fuite de son père qu'il apprit trop tard lui fit croire les forces du nouveau Pacha beaucoup plus considérables qu'elles ne l'étaient en effet. Il se réduisit à se maintenir dans son poste avantageux et à attendre à se régler d'après des informations plus précises et les démarches de son adversaire.

Sidi Achmet voulut suivre son père et il ne le quitta qu'après l'avoir vu en sûreté. Ce premier devoir rempli, il résolut de se réunir à Sidi Yousseph pour reconquérir le trône de leurs ancêtres. Il ne craignit pas dans cette vue (38) de se remettre à sa discrétion Il le fit prévenir de sa prochaine arrivée, lui fit envisager combien il leur importait d'abjurer tout ressentiment et de ne pas compromettre plus longtemps, par une fatale division, /28/ leurs intérêts les plus sacrés. Il suivit de près son message, trouva son frère dans les plus favorables dispositions. Le commandement lui fut unanimement déferé et, depuis ce moment la bonne harmonie n'a plus été troublée.

Pendant cet intervalle, le nouveau Pacha était monté paisiblement sur le trône. La soumission volontaire et absolue des Tripolins lui promettait un règne tranquille. Il crut que le moyen le plus propre à les maintenir dans ces sentiments était de leur annoncer un système de gouvernement entièrement opposé à celui qu'ils paraissaient si peu regretter. La douceur de son prédécesseur fut taxée d'indolence; il leur promit une sévérité inflexible. La considération dont jouissaient les chrétiens lui parut une atteinte à la dignité musulmane] (F. 293); il résolut /29/ de les replacer à une distance convenable. [Les Tripolins, naguère simples, doux, heureux, rougissent d'avoir méconnu jusqu'alors leur importance, s'en dédommagent en nouveaux parvenus et ne mettent de bornes ni à l'excès, ni au ridicule de leurs prétentions.] (F. 293)

35. Chefs du pays, probablement une traduction de *cheikh baladiyya*, mais on devrait employer le singulier. Suivant une lettre du consul Bellato datée du 30 juillet 1793, R. Micacchi, op. cit., p. 127 indique que c'est cet officiel qui persuada les citoyens de se rendre plutôt que de suivre les ordres de Ali Karamanli et de résister.

36. Les communications...étaient...fermées, avec le sens de coupées.

37. le ni est de trop, ou bien une autre clause introduite par un second ni devrait suivre.

38. vue avec le sens de circonstance ou affaire.

qu'indépendamment de sa fidélité et de son courage éprouvées, il était personnellement ennemi juré de Sidi Yousseph par ce qu'il avait été outragé de la manière la /23/ plus cruelle; mais, Sidi Yousseph dominait tellement dans toute la campagne qu'il ne put rassembler qu'environ quatre cents chevaux et deux cents piétons à la tête desquels il pénétra dans le village très considérable, voisin du Sahal, Messie (27), espérant d'être soutenu par le reste de la cavalerie. Le plan était bien consenti et la courage avec lequel il fut suivi par Hagi Salem aurait, peut-être, rendu cette action décisive s'il n'eut été lâchement abandonné. Les Nouailles restèrent dans l'inaction et le laissèrent pendant plus de quatre heures exposé au feu de plus de quatre mille hommes bien retranchés. Il se vit enfin obligé de se retirer avec une perte considérable de ses gens.] (F. 289)

Cette malheureuse défaite répandit la consternation et produisit un découragement général. la perfidie des Nouailles faisait /24/ murmurer (si) hautement que chaque instant pouvait produire une sédition. [Sidi Yousseph touchait au moment de voir le succès couronner ses entreprises quand l'événement le plus extraordinaire vint confondre toutes les mesures et opérer momentanément une trêve] (F. 289) à laquelle a succédé une guerre encore plus sanglante, de laquelle il est impossible de présager encore la durée et l'issue mais qui indubitablement consommera la ruine de ce malheureux royaume.

Tel était l'état de la ville lorsque la vue de sept bâtiments dont cinq portaient pavillon turc vint faire diversion et ajouter la plus vive curiosité à tous les sentiments dont on était agité. Cette petite escadre mouilla dans le port de Tripoli le 21 Juillet 1773 (28). La chaloupe du Capitaine de port qui était allé aux informations fut détenue; dans un instant toutes les chaloupes /25/ armées vinrent à terre. Un Chaouch (29) lut au divan assemblé dans la golphe (30) du Biis (31) de la marine un firman du Grand Seigneur (32) portant la destitution du Pacha et la nomination de son successeur Sidi Ali Cy (33), devant Vessil Hogia Alger (34).

Les Tripolins fatigués de la guerre, plus encore effrayés de l'entrée presque certaine de Sidi Yousseph, ne vinrent dans cet événement qu'une protection

27. Missie ou Mensia, oasis de Tripoli extra murus.

28. La date n'est pas exacte, il s'agit du 29 juillet 1793. Cf. R. Tully, op. cit., p. 319 qui est suivi par tous les autres.

29. chaouch ou sergent d'armes, représentant le Sultan.

30. Golphe du turc *golfa*, appartement surélevé. Cf. R. Tully, op. cit., p. 369: "golphor ou pavillon où se tient le Rais de la marine"

31. Biis est sûrement une erreur de copiste, lire plutôt Rais. Bien que le manuscrit distingue souvent le R du B, on remarquera qu'au XVIII^e siècle il existait une forte ressemblance entre les deux. Tully note bien que c'est le pavillon du chef de la marine.

32. Le Grand Seigneur, Sultan, à Istamboul était Salim III.

33. Sidi Ali nommé aussi Bourgoul ou Ali ben Zoul (R. Tully, op. cit., p. 320), Ali Effendi (soit Monsieur Ali, Micacchi, op. cit., p. 125) ou Ali ben Adem (C. Bergna, op. cit., p. 240), géorgien de naissance selon Micacchi, ou grec selon Bergna, avait été chef de la Marine d'Alger. Tombé en disgrâce, il avait obtenu avec l'aide de son frère, vice-Amiral à Istamboul, le gouvernement de Tripoli par firman du Sultan. cf. aussi Ch. Féraud, op. cit., p. 289-91 avec la note 135 établie par el-Wâfi, op. cit., p. 140

34. Vessil hogia = wakîl al-hardj, chargé du butin selon el-Wâfi, op. cit., p. 140 note 136, selon E. Rossi, op. cit., p. 256, fonctionnaire de la marine.

[Assuré des dispositions du Sahal, il se présente et est accueilli avec toute la joie qu'il pouvait désirer; mais, ne se croyant pas encore assez fort pour attaquer la ville, il marcha vers les villages voisins qu'il soumit sans beaucoup de résistance. Maître de toute la campagne, il commença les hostilités avec une vivacité accrue encore par le dépit de ses premières défaites] (F.287) (22)

Une attaque aussi vive et aussi imprévue excita une épouvante générale. Elle était d'autant plus naturelle qu'indépendamment de l'avantage du nombre et de la position de l'ennemi, on croyait avoir à craindre des intelligences que l'on s'attendait, à chaque instant, à voir éclater. Les ordres précis du Pacha, les moyens de /20/ défense auxquels il eut recours sur le champ dissipèrent cette défiance. [Plusieurs hordes d'Arabes (23) accoururent à son secours et leurs premiers succès se seraient soutenus si la mésintelligence ne s'était mise dans ces troupes auxiliaires. La horde des *Nouailles* (24) qui étaient venus au nombre de huit cent chevaux, fut la principale cause de ce désordre. La ville n'était pas pourvue d'une quantité d'orge suffisante pour une aussi nombreuse cavalerie. Ils étaient exigeants en proposition de la pénurie. On craignait, à chaque instant, une révolte ou une désertion qui dépendait du retard des bateaux que l'on envoyait à grand frais sur la côte et dont l'activité de Sidi Yousseph empêchait quelquefois le chargement malgré le prix exorbitant auquel cette denrée était montée. Ces troupes sont obligées à un service /21/ gratuit de quarante jours, c'est-à-dire, que pendant ce temps elles n'ont pas de solde réglée et, qu'après l'expiration de ce terme, elles ne sont plus astreintes à rien. Leur entretien est très dispendieux. Indépendamment de la nourriture des hommes et des chevaux, l'usage est de donner à chaque cavalier une chemise, une culotte et une paire de babouches.] (F. 288) ajoutez à cela le prix arbitraire qu'ils mettent à leurs chevaux dont ils exigent le paiement quand ils sont blessés et on conservera, sans peine, la difficulté avec laquelle le Pacha réussissait à satisfaire ces dangereux amis. [Déjà on commençait à déplorer instruit de toutes les circonstances de cet événement. La tuite de son père qu'il apprit trop tard lui fit croire les forces du nouveau Pacha beaucoup plus

Ce prince aurait été accueilli dans tous les temps avec une sensible joie, mais /22/ on connut mieux le prix de sa présence dans un moment où la sagesse d'un bon conseil n'était pas moins nécessaire que les autres secours que l'on se promettait de sa libéralité. On ne fut trompé dans aucune de ces attentes; mais le dénouement de cette crise était hors des règles de la prudence la plus consommée et sa fatale singularité ne contribua pas peu au succès.

La ville était assiégée depuis plus de cinquante jours. Les hostilités

La ville était assiégée depuis plus de cinquante jours. Les hostilités se succédaient avec une rapidité qui ne laissait aux Tripolins aucun repos. Ils n'avaient plus d'espoir que dans l'arrivée prochaine de *Hagi Salem Aga* (25) de Mesurat (26) sur l'assistance duquel le Pacha devait d'autant plus compter

22. Probablement l'attaque du 27 juin 1793 selon R. Tully, op. cit., p. 299

23. horde avec le sens de *qabīla*, tribu

24. *Nuà il*, cf. E. de Agostini, *Le popolazioni delle Tripolitania*, Tripoli 1917, p. 261-2. Originaires de la région de Gabès en Tunisie et ennemis des habitants de Djerba, ils avaient été refoulés en Tripolitaine par les Warghemma. Ils participèrent en 1794 à l'attaque de Djerba. Ce sont les Kuoniales ou Knowiales de E. Tully, op. cit., p. 295, 303-5, 344. Leur chef était Cheikh Alief.

25. *al-Hajj Salim*, selon Féraud, op. cit., p. 258, ennemi de Sidi Yousseph parce que "outragé dans son honneur d'époux".

26 Misrata.

Le *Sahal* (17), le plus peuplé des villages qui avoisinaient la ville, avait pour *Caid Sidi Amoura* (18), fils de *Moustapha Khodja* (19), premier écrivain du Pacha (20). La fortune et la faveur de ce ministre étaient au plus haut degré] (F. 287) et avaient toute la solidité d'une ancienne habitude. L'abus qu'il fit du second de ces avantages peut être regardé comme /16/ une des causes des malheurs de Tripoli. [Les habitants du *Sahal* se plaignirent de la rigueur et de la cupidité de leur *Caïd*. Leurs représentations étaient si énergiques et si fondées que *Moustapha Khodja*, croyant devoir momentanément céder à l'orage et se faire un mérite auprès de son maître de son équité et de son désintéressement, consentit à la destitution de son fils auquel il donna pour successeur le *khaznadar* (21) du feu *Bey*; mais il ne perdit pas de vue les moyens de réparer la première atteinte portée à son autorité et il avait résolu de replacer son fils. Il crut y réussir en indisposant les habitants du *Sahal* contre leur nouveau *Caid*. Il attribuait à ses conseils la sévérité extrême à laquelle il disposait lui-même le Pacha qui, d'ailleurs, aigri par de continuels chagrins domestiques, s'écarta de sa douceur ordinaire dans le moment où elle lui était plus nécessaire. Les premières plaintes /17/ que vinrent lui porter les principaux *cheikhs*, non seulement ne furent pas écoutées mais encore furent punies d'une manière aussi humiliante que cruelle.

Un traitement si rigoureux, si opposé à la clémence à laquelle on était accoutumé, incita des nouveaux murmures que *Moustapha Khodja* offrit de faire cesser en rétablissant son fils dont la fermeté et la sévérité devaient rétablir le calme et soumettre les séditieux. Ce remède violent irrita le mal au lieu de l'adoucir et amena naturellement les esprits aux dispositions que *Sidi Yousseph* attendait depuis longtemps. *Soliman Béni* ne les laissa pas refroidir et sa fortune fut prodiguée pour gagner ceux que la persuasion et l'exemple n'avaient pas encore entraînés.] (F. 287) Ce qui paraît le plus étonnant dans cet événement est la fidélité inviolable avec laquelle fut gardé le secret, nécessairement /18/ confié à un très grand nombre de conjurés. Peu de temps avant cette dernière explosion, le Pacha affligé de la durée de cette guerre et dans la vue de faire cesser les brigandages qu'occasionnaient dans son royaume la présence du rebelle et la protection qu'il accordait à tous ceux que l'esprit de sédition ou la poursuite des loix attiraient dans son parti, avait consenti à lui donner le gouvernement de *Bengazi*; et *Sidi Ahssan*, n'écoulant que l'affection fraternelle et le désir de la paix, s'acrifia à ces deux motifs les intérêts d'une grande fortune qu'il rassembla à la hâte et vint offrir à son frère.

Sidi Yousseph avait feint d'accepter la proposition avec reconnaissance. Déjà il avait reçu de la libéralité de son père tout ce qui pouvait l'établir avec éclat dans la seconde dignité du royaume: jamais les *Tripolins* ne s'étaient crus plus /19/ assurés du repos auquel ils aspiraient depuis si longtemps que quand ils se virent réduits à en perdre jusqu'à l'espérance.

17. Le *Sahal* ou "côte" se réfère à un district considérable situé à quelque distance de Tripoli, cf. R. Tully, op. cit., p. 336

18. mentionné uniquement par cette source.

19. *Moustafa Khoudja* de famille égyptienne mais natif de Tripoli, conseiller de *Ali Pacha Karamnli* et chef de son Secrétariat. Auteur de plusieurs ouvrages dont l'original arabe du manuscrit "Froment"; cf. M.A. el-Wāfi, op. cit., p. 139-40, n. 134

20. traduction littérale de l'expressio chef du secrétariat.

21. titre de trésorier.

défiance /12/ masquées par les apparences de déférence (12) d'une part, et de cordialité de l'autre. La violence du caractère de Sidi Yousseph ne pouvait pas s'accommoder longtemps de cette contrainte. Il leva le masque mais trop faible encore pour rien entreprendre contre un homme continuellement sur ses gardes. Il se contenta de retourner à son premier asile dans l'espoir d'attirer le Bey en dehors et dans la vue de se ménager parmi les Arabes un parti (13) assez considérable pour le forcer dans ces retranchements s'il y était obligé. Sidi Achmet, de son côté, gémissait d'un aussi pénible esclavage et des obstacles que son père opposait constamment aux moyens qu'il voulait tenter pour s'en affranchir.] (F. 285)

Cette conduite du Pacha donnait lieu à mille conjectures et à des interprétations qui, toutes, ne lui étaient pas favorables, mais il est plus naturel de croire que sa prévention n'était /13/ pas assez forte pour lui fermer les yeux sur l'ambition de Sidi Yousseph; et la crainte qu'il devait raisonnablement en avoir le faisait ménager un défenseur qu'il aimait peu mais dont il n'avait rien à redouter.

[Sidi Yousseph encouragé par] cette inaction, se prévalut de [la faveur apparente de son père et parvint à rassembler environ six cents chevaux à la tête desquels il se présenta devant la ville le vingt cinq juin mil sept cent quatre vingt onze (14). Il s'en serait rendu infailliblement la maître s'il avait su profiter du premier moment de surprise et d'éprouvante. Les remparts étaient dégarnis, l'artillerie abandonnée. Il n'aurait éprouvé qu'une faible résistance; mais il donna le temps de réparer cette négligence et il fut contraint de se retirer. Deux autres tentatives semblables n'eurent pas plus de succès et il aurait probablement /14/ été obligé de renoncer à son entreprise s'il n'eut été encouragé par le dévouement de ses compagnons] (F. 286) et des circonstances particulières dont il sait adroitement profiter.

Depuis plus de deux ans, il errait dans l'intérieur des terres supportant avec une constance admirable les fatigues et la misère d'une vie vagabonde. Son courage inspirait un intérêt qu'il savait ménager avec adresse et prudence. Ses zélés compagnons semaient partout le germe du mécontentement et de la division.] (F. 286) L'inaction forcée du Bey donnait du poids à leurs insinuations et on l'attribuait généralement ou à un défaut d'énergie ou à la prédilection connue du Pacha pour Sidi Yousseph. Ce dernier [ponctuellement instruit des actions, des discours même de son père (F. = frère), réglait d'après ces connaissances ses démarches /15/ et les bruits qu'il lui convenait de faire répandre. Il fut efficacement secondé par Soliman Béni(15), renégat italien, qui avait à se venger de Sidi Mahmet, gendre du Pacha (16) de la galanterie duquel il avait raison de se plaindre et qui avait joint à l'éclat indiscret de sa conduite, des menaces dont Béni avait toujours inutilement demandé justice. Son ressentiment croissait par l'impossibilité de la satisfaire ouvertement mais il épiait avec soin tout ce qui pouvait le conduire à ce but.

12. Depuis le 20 juillet 1790, jour du meurtre jusqu'au 25 juin 1791.

13. Arabes avec le sens de bédouins.

14. chevaux pour cavaliers.

15. Soliman Buni selon Féraud, op. cit., p. 286 qu'il qualifie d'officier du palais.

16. Amant de Zaynab, femme de Soliman Buni, selon Féraud, op. cit., p. 286

descend, [rencontre dans l'esquif (8) le Kiaya (9), son oncle (10), vieillard respectable, qui lui demandait avec inquiétude la cause du trouble étrange dans lequel il le voyait. Il ne lui répond que par un arrêt de mort qu'il fait exécuter par ses nègres, monte à cheval et se retire au jardin de son père, suivi d'une troupe /9/ considérable de gens déterminés qui, depuis ce moment, se sont associés à sa fortune et lui sont entièrement dévoués.

Sidi Achmet Bey actuel était absent. L'intérêt qu'il avait à l'exécution de ce forfait fait supposer sa participation, et l'empressement avec lequel il vint, deux jours après, en recueillir le fruit, autorise à croire qu'il avait connaissance du complot.] (F. 284)

On réussit (11) à calmer le ressentiment que le Pacha ne put manquer d'avoir de la perte de son fils en lui faisant ombrage de sa puissance et en lui persuadant [qu'il était redevable à Sidi Yousseph de n'avoir pas été lui-même la victime de son ambition. Des soupçons de cette nature germent facilement dans l'esprit d'un sultan barbaresque, et le Pacha ne songea plus qu'à rendre grâce à Dieu de l'avoir délivré d'un si grand danger et à /10/ réunir les deux fils qui lui restaient] (F. 284)

Quelque fut son opinion à cet égard, il lui convenait d'autant plus de paraître convaincu que l'audace du coupable rendait dangereux le parti de la sévérité; et il saisit adroitement le prétexte qui s'offrait de motiver son indulgence.

[Sidi Yousseph fut donc rappelé et accueilli comme le libérateur de son père. Il se rendit à cette invitation accompagné de plus de deux cents hommes armés. Le Bey et les principaux officiers du Pacha eurent ordre d'aller au devant de lui jusqu'à la porte de l'Esquif et il reparut en triomphe dans les lieux qu'ils venaient de souiller par les plus atroces des crimes. Les spectateurs de cette intéressante entrevue en attendait le dénouement avec inquiétude. Le Pacha, le Bey, étaient en sa puissance. Un seul instant, un crime de plus le plaçait /11/ sur le trône] (F. 284) et assouvissait l'ambition extrême à laquelle il a depuis tout sacrifié.

Cette crainte était bien fondée mais elle se dissipa heureusement et fit place à une vive surprise quand on le vit se jeter aux pieds de son père qui le releva avec douceur et ordonna qu'on lui rendit les hommages ordinaires. Le sujet dont tout le monde était occupé fut passé sous silence et la conversation devint générale. Sidi Yousseph se retira peu de temps après dans son appartement suivi de son nombreux cortège. La faveur déclarée de son père lui attacha plus étroitement encore ses partisans et leur nombre en croissait si rapidement que Sidi Achmet crut devoir de son côté se mettre en état de ne redouter ni attaque ni trahison.

Les deux princes restèrent longtemps dans cet état d'observation et de

8. Esquif. Traduction de *sakîfa*, corps de garde. Cf. R. Tully, *Voyage à Tripoli: Relation d'un séjour de dix années en Afrique* Paris 1817, p. 330. emploie *skiffar*; le *r* après la voyelle *a* Ch. Féraud, op. cit., p. 284 traduit par escalier.

9. Kiaya de l'arabe *kâhiya* (turc, *kiahya*) est le premier dignitaire civil. Cf. E. Rossi, op. cit., p. 247

10. Abdallâh. Cf. E. Rossi, op. cit., p. 249

11. On. Il s'agirait de Esther, la favorite du pacha dont la fille Mezeltob (= chace) était la maîtresse de Yousseph suivant Ch. Féraud, op. cit., p. 284

tributs, non seulement retenait les bédouins dans les bornes de la soumission mais encore lui procurait des richesses auxquelles s'ajoutaient, encore, les prises que faisaient les corsaires qu'il armait à ses frais, et ne reconnaissaient d'autres autorités que la sienne. Son père voyait /5/ sans crainte croître sa puissance et lui abandonnait, avec sécurité, les soins importants dont son âge avancé commençait à le rendre moins capable.

L'estime générale que les bonnes qualités de ce Prince lui avaient acquise; les hommages que l'on rendait à sa puissance laissaient les deux princes, ses frères, à une distance qui devait leur être bien sensible. *Sidi Achmet*, d'un naturel doux, destiné d'ailleurs à lui succéder, paraissait attendre assez patiemment le remède que le temps porterait à ce chagrin. *Sidi Yousseph*, plus ardent, résolu à l'immoler à son dépit et à son ambition et il n'y réussit que trop malheureusement. Le grand nombre et le zèle des partisans du Bey ne donnaient à *Sidi Yousseph* l'espoir de réussir dans l'exécution du fratricide qu'il méditait que par surprise. La confiance et la /6/ sécurité de son adversaire lui en facilitèrent les moyens. Il mit souvent l'une et l'autre à l'épreuve par des querelles fréquentes qu'il faisait apaiser par la médiation des femmes. Ces différends, incessamment renaissants et assoupis, n'excitant plus l'attention, éloignaient la défiance et lui laissaient la liberté de choisir le moment le plus favorable] (F. 278) L'occasion qu'il attendait avec tant d'impatience se présenta enfin [le vendredi vingt juillet mil sept cent quatre vingt dix. Affectant le désir d'une sincère réconciliation, il fait inviter le Bey à se rendre dans l'appartement de leur mère (5) en présence de laquelle il devait reconnaître ses torts et sceller par les serments les plus respectables la promesse de les réparer. Le choix du jour du Bazar qui éloignait de la ville le plus grand nombre des habitants, plus encore, la connaissance du caractère /7/ entreprenant de *Sidi Yousseph* devaient rendre l'invitation suspecte; mais le Bey se livrant à sa confiance naturelle et au désir de voir se terminer des dissensions dont il était fatigué depuis longtemps, se rendit sans armes au fatal rendez-vous.] (F. 283)

Sidi Yousseph était pareillement désarmé. Le commandant (6) de l'entrevue fut paisible; et [il offrit de jurer sur le Coran de la sincérité de ses intentions pacifiques] (F. 283). Cette offre fut acceptée et à un signal convenu, un de ses gens lui porte deux pistolets de l'un desquels le malheureux Hassan ne fut d'abord que légèrement blessé et [il eut le temps de saisir un petit couteau dont il blessa son meurtrier au bras] (F. 283), mais un second coup mit fin à sa courageuse résistance. Cette cruelle scène eut pour témoin la mère, la femme du Bey (7) enceinte de huit mois, plusieurs autres femmes. Pour /8/ que rien ne manqua à l'atrocité du spectacle, il fit entrer ses nègres auxquels il donna ordre de consommer son attentat. Cette dernière circonstance révolta plus encore que l'action en elle-même, et les musulmans pardonnent plus aisément ces sanguinaires exécutions auxquelles ils sont, en quelque sorte, accoutumés qu'une violation aussi étrange de l'asile sacré des femmes, dont l'histoire n'avait pas jusqu'alors fourni d'exemple.

Animé par ce cruel succès et dans la première effervescence du crime, il

5. *Lalla* (Madame) *Hallûma*; cf. E. Rossi, op. cit., p. 249; M.A. el-Wâfi, op. cit., p. 139 note 132

6. lire plutôt commencement.

7. *câ isha*, cf. E. Rossi, op. cit., p. 249

HISTOIRE DU RÈGNE D'ALI CARAMANLY, PACHA DE TRIPOLI DE BARBARIE (1)

12/ Ali Caramanly succéda à Mahmet Pacha (2), son père, et monta sur le trône de Tripoli, l'an de l'ère chrétienne mil sept cent cinquante six. Le début de son règne fut peu conforme au caractère humain qu'il développa dans la suite; et la douceur de son gouvernement, sa bienfaisante popularité envers ses sujets, l'affectueuse protection que les Chrétiens trouvaient toujours auprès de lui, ont fait oublier des excès qui révoltent nos mœurs mais qui semblent, en quelque sorte, autorisés par le cruel usage qui les consacre et, souvent, justifiés par la nécessité de prévenir les attentats des compétiteurs.

Il gouverna avec justice et modération; et Tripoli – qui était autrefois regardée avec 13/ raisons comme la plus puissante des Régences barbaresques, qui se soutient avec distinction après la ruine de sa marine à Scio par M. Le Ch. Duquesne(3), dont la puissance enfin n'a pu être réellement ébranlée que par les ravages indicibles de la peste de mil sept cent quatre vingt un – aurait pu, peut-être, recouvrer une partie de ses pertes et reprendre son ancienne splendeur si à des calamités aussi désastreuses n'avaient succédé des dissensions domestiques qui, en occupant tristement presque tous les moments de la vie du Pacha, l'éloignèrent des affaires et laissaient un vaste et libre champ à l'ambition et à la cupidité de ses ministres. C'est principalement à cette cause que l'on doit attribuer la décadence progressive de ce pauvre royaume et de l'état tellement déplorable dans lequel il est présentement réduit, que l'avenir n'offre que la triste perspective d'une ruine presque totale.

La famille de ce Prince était composée 14/ de trois fils: *Sidi hassan Bey*, *Sidi Achmet* et *Sidi Yousseph*.

Sidi Ahssan Caramanly, son frère, avait le gouvernement de *Bengazi* où il résidait; et il n'était connu à Tripoli que par l'estime et la considération générales qu'il s'était conciliées par la douceur de son caractère et l'équité de son gouvernement.

[*Sidi hassan Bey*, héritier présomptif, réunissait au plus haut degré les agréments personnels et le talent de commander. Le plus gracieux accueil lui faisait des partisans de tous ceux qui l'approchaient. Son courage, plusieurs fois éprouvé à la tête des camps (4) qu'il était obligé de lever pour retirer les

1 Pour son règne, cf. E. Rossi, op. cit., p. 243-257. et pour les événements évoqués dans ce manuscrit, p. 252-257

2. Muhammad Pacha Karamanli régna de 1745 à 1754. Cf. E. Rossi, op. cit., p. 239-243

3. Chio. Victoire de M. Duquesne sur la flotte tripolitaine le 23 Juillet 1681. Cf. E. Rossi, op. cit., p. 206; Ch. Féraud, op. cit., p. 152-163

4. Camp. C'est probablement la traduction de *mahalla*; il s'agit des forces recrutées pour une expédition militaire.

Suite de l'histoire de la Régence de Tripoli de Barbarie

Régne d'ALY CARAMANLY. 1793

et la France (17). Chio fut aussi à l'origine du Consulat. Mais, contrairement à l'impression donnée par le texte, Chio ne fut pas le fait d'armes le plus marquant pour toute l'histoire de la Régence.

Il se peut que le rapport ait été écrit à la demande du nouveau Consul français Guys, arrivé peu de temps avant le débarquement d'Ali Bourghoul (18). Un aperçu des événements récents pouvait le guider dans son appréciation du présent. Les spéculations en fin du rapport s'expliqueraient bien dans cette perspective. S'il en est ainsi, le rapport ne convaincra pas Guys des qualités du Pacha Ali Bourghoul (19).

L'intérêt du texte provient, d'abord, du fait que c'est la seconde source sur la période à être publiée intégralement. Il donne quelques nouveaux détails sur la lutte de 1790 et ses séquences; mais sa description du règne d'Ali Bourghoul est bien plus intéressante. Sans nier la terreur que celui-ci faisait régner et les sévices qu'il infligea à la population locale, il marque son admiration devant la réussite de ce Pacha. C'est une interprétation étonnante mais compréhensive iustement en ce début d'automne de l'année 1794.

17 L. Ch. FERAUD, op. cit, p. 151-154 et 154-162.

18 L. Ch. FERAUD, op. cit, p. 289. Il débarqua le 30 mai 1793.

19 L. Ch. FERAUD, op. cit, p. 298-299 pour l'opinion que Guys avait de Ali BOURGHOUL et p. 294 pour les relations difficiles entre les consuls et ce pacha.

antérieur au présent des pages 36 à 40, à commencer par le paragraphe – "L'heureuse étoile de Sidi Aly paraît enfin le faire triompher..." – et c'est dans ces dernières pages que l'on mentionne la bataille de Zamzour. Le texte fut bien rédigé en septembre 1794.

Mais qui est l'auteur de ce manuscrit?

L'analyse grammaticale séparée des deux textes nous a amené au paradoxe suivant. Celui qui est censé être une traduction d'un original arabe et qui est attribué à Froment de Champ Lagarde contient moins d'arabisme que le second qui est censé être un original en langue française. C'est un Français, très probablement Froment, qui a traduit le texte arabe et un arabophone qui a rédigé le texte publié ci-après. Arabophone mais non musulman. On le constate à partir des passages (pp.2 et 8) où il oppose les musulmans à "nous" (cf. aussi, le passage p. 32). Le commentaire (p. 9) sur la mentalité d'un Sultan barbaresque indique, en outre, que l'auteur n'est pas nord-africain.

Arabophone et chrétien, il s'agit probablement d'un Maltais. Or il se fait qu'en 1794 le consulat de France à Tripoli engagea à "titre provisoire un certain Xavier Naudi comme agent interprète" (14). Il y restera jusqu'en 1799, date à laquelle il sera évacué avec le Consul Beaussier. Bonaparte le renverra à Tripoli pour négocier le traité du 18 Juin 1801 entre la Régence et la France. Il devient chancelier du Consulat, mais abandonne ce poste en 1802 (15) Rossi le décrit comme "un aventurier entreprenant et brigueur. Après 1802 il causa beaucoup d'ennuis à Tripoli à cause de son ambition" (16). Un tel caractère s'allie bien avec les considérations finales de notre texte sur la personne et l'avenir d'Ali Bourghoul. C'est notamment l'unique source qui en fait un grand homme: "On ne peut refuser de l'admiration à sa conduite soutenue et adroite dans des circonstances aussi difficiles et l'art avec lequel il tire parti des moindres avantages" (p. 32), ailleurs, il parle même de "génie vaste et souple" (p. 37).

Tous ces indices ne suffisent pas, en eux-mêmes, pour prouver avec certitude que Naudi fut bien l'auteur de notre manuscrit. Bien sûr, il aurait pu l'être. Il était au consulat, il était Maltais, interprète, arabophone et chrétien. Mais la certitude ne viendra que lorsqu'on pourra comparer notre texte avec un autographe de Naudi et ce sur les plans du style et des fautes éventuelles.

Le texte est un rapport établi pour le compte du Consulat de France à Tripoli. On le retrouve relié à un second manuscrit rédigé par un Vice-consul. La page de garde renvoie également au second manuscrit. Le lien entre le Consulat et notre texte se remarque à partir de l'analyse interne. On évoque, en effet, la bataille de *Chio* (p. 3, épelée *Scio.* à l'italienne) où Duquesne (et non pas Duguesne) battit le 23 Juillet la flotte tripolitaine. Cette action fut à l'origine du traité fondamental qui, en 1794 encore, réglait les relations entre la Régence

14 L. Ch. FERAUD, op. cit, p. 313. BEAUSSIER écrit que Xavier NAUDI est vice consul et interprète provisoire depuis plus de cinq ans. La date de sa lettre, le 6 messidor an VII n'est pas le 24 décembre 1799, mais bien voir E. ROSSI, op. cit, p. 262, fn 15. Il en résulte que NAUDI fut engagé "à titre provisoire" en 1794 et probablement au printemps. Froment quitta en 1794 et il est probable que NAUDI fut son successeur "provisoire".

15 E. ROSSI, op. cit, p. 263.

16 E. ROSSI, op. cit, p. 263, fn 18. et texte.

dessus mentionnées à l'exception de l'emploi d'un à erroné et d'un *dans la* au lieu de *en*. Ses phrases sont un peu mieux charpentées.

En ce qui concerne le vocabulaire, les deux manuscrits utilisent les termes *esquif*, *camp*, *arabe* comme une traduction littérale de termes arabes avec, cependant, un sens différent de celui que peut exprimer le mot français. Notre manuscrit ajoute aux mots précédents, *cheval*, *chefs du pays*, *horde*, et utilise d'une façon peu conforme les mots *négligence* et *impéritie*.

L'auteur du texte que nous éditons connaît la langue française mais ne la maîtrise pas très bien. Le manuscrit Froment semble être bien écrit par un Français ou du moins quelqu'un qui possède la langue française. Bien que traduit de l'arabe, le manuscrit Froment contient, contrairement à celui publié ici, moins d'arabismes dans la syntaxe, le style et le vocabulaire. Partant des indications précédentes, on est amené à conclure que les deux textes n'ont pas le même auteur.

La page de garde (p. I) de notre texte porte la date de 1793. Est-ce la date de rédaction du manuscrit? Le texte parle d'une bataille à Zamzour et ensuite d'une trêve tacite; la ville de Tripoli est débloquée tandis que les princes Karamanly se sont retirés (p. 38-40). Or, la bataille de Zamzour a eu lieu le 29 Août 1794 (10) et les princes s'enfuirent à Tunis. Mais cela n'était pas encore connu de notre auteur. L'événement marquant suivant fut l'occupation de Djerba par Ali Bourghoul le 24 Septembre 1794 (11), événement qui n'est pas à son tour mentionné dans notre texte. Le manuscrit daterait donc du mois de Septembre 1794 et plus précisément du début du mois puisque l'on ne savait pas encore que les princes Karamanly partaient pour Tunis. Cela s'accorde avec la phrase "assiégé depuis plus d'une année (le 30 juillet 1793) par un peuple entier..." (p. 37) qui se réfère à Ali Bourghoul.

Existe, cependant, une indication contraire. D'après le texte (p.34)" Son (= Ali Bourghoul) crédit n'a pas suffi pour obtenir l'envoi moins dispendieux et plus imposant d'un *Capoudji* porteur du *caftan*". Or ce caftan fut obtenu avant la bataille de Zamzour. Féraud donne la date, manifestement erronée, du 1 Juillet 1795 (12) tandis que Micacchi relate le fait et sa source en datant du 15 Avril 1794 (13). Toutefois la difficulté d'appréciation provient, dans notre manuscrit, de l'emploi incertain des temps verbaux: "N'a pas suffi" doit être "n'avait pas suffi" (à ce moment là). Le présent narratif des pages 34 à 36 est

10 C. BERGNA, *Tripoli del 1510 al 1850*, Tripoli 1925, p. 245 suivant la chronique de la mission; R. MICACCHI, *La Tripolitania sotto il dominio di Caramanli*, Roma 1936, p. 132 suivant une lettre du 5-9-1794 de LUCAS et E. ROSSI, op. cit, p. 257, suivant une lettre de LUCAS du 20-10-1794. BERGNA donne la date, mais pas le lieu. Il ne parle pas non plus de la fuite à Tunis – au contraire pour lui le siège reprend. ROSSI parle du lieu, de la fuite des princes mais pas la date. MICACCHI donne la date, le lieu et la fuite à Tunis. Le renseignement provient en fait (ROSSI et MICACCHI) du consul anglais à Tripoli, LUCAS.

11 R. MICACCHI, op. cit, p. 133-134; E. ROSSI, op. cit, p. 257; L. Ch. FERAUD, op. cit, p. 297.

12 L. Ch. FERAUD, op. cit, p. 296. En 1795 Youssef Karamanli régnait.

13 R. MICACCHI, op. cit, p. 131. Lettre du consul LUCAS du 12-2-1794 et postscript du 15-4-1794.

XVIII^e siècle. Nous ne révélons pas les graphies usuelles à cette époque bien qu'elles diffèrent de l'usage actuel (exemples: *tems* pour *temps*, *trhone* pour *trône*, *joye* pour *joie*, etc.). Nous ne retenons que les fautes (9). On retrouve les pratiques suivantes:

- Incertitude quant au doublement d'une consonne (17 graphies erronées), à la graphie du son *s* (9 cas non compris deux pluriels en *x* plutôt qu'en *s*); incertitude quant aux voyelles nasalisées (7 graphies erronées).

- Erreurs de voyelles (7 cas erronés dont trois *i* pour *é*, un *i* pour *a*, un *ou* pour *o*, un *u* pour *ou*, un *é* final omis); erreur de *l* mouillé (4 cas dont 2 où une syllabe entière tombe). À part deux graphies vraiment désuètes, même à l'époque, (*enyvré*, *vuide*) on trouve deux fautes qui demandent plus d'explication. Les cas de *costan* pour *caftan* et *Biis* pour *Rais* ont été signalés plus haut. Il reste l'orthographe *trhone* pour *trône*. La graphie *trhone* est la plus fréquente, mais on trouve quand même *trône* deux fois (p. 2, l.2 et p. 27, l.14). Le *h* remplace dans ce cas l'accent circonflexe. Cependant le manuscrit contient ailleurs quelques accents circonflexes tout en omettant d'en mettre d'autres à leur endroit. À noter également que de nombreux accents aigus ou graves manquent.

- Les deux dernières caractéristiques de la graphie concernant l'emploi des lettres majuscules et le mode d'abréviation. La plupart des paragraphes débutent par une majuscule, sauf dans trois cas (pp. 23, 24, 31) mais l'emploi des majuscules en début de ligne est aussi arbitraire que leur présence en début de quelques noms ou titres, etc... On notera, par exemple, la tendance à orthographier le mot "son" avec *S* qu'il s'agisse d'une altesse ou non. Enfin le manuscrit utilise sept fois le *tilde* comme abréviation (5 fois *mt* pour *ment*, une fois on pour *son*, *pur* pour *pour*). L'abréviation *Cap^{ne}* était d'usage à l'époque.

Le manuscrit Froment diffère du notre sur presque tous ces points. D'abord il contient moins de fautes d'orthographe. S'il hésite aussi quant au redoublement de la consonne, il préfère plutôt ne pas doubler (5 cas) que doubler (3 cas) contrairement donc à notre manuscrit qui redouble la consonne dans 12/17 cas. Les deux fois où "Froment" redouble abusivement, notre manuscrit le suit. Par ailleurs, Froment ne semble pas avoir de difficulté avec les voyelles ou les sons *s* et *l* mouillés, il utilise cependant la graphie *trhone* et une similaire, *costhume* pour *costume*, et s'abstient quant à l'emploi de l'accent circonflexe. Ses majuscules sont aussi peu ordonnées que dans le notre. Son système d'abréviation est différent. Il tire une ligne au-dessus du mot et, de plus, n'abrège qu'une seule fois. Quant à la terminaison *ment*, il l'exécute de la sorte: *accomplissement* = *accomplissement*.

Le texte que nous éditons contient aussi de nombreuses fautes de grammaire: quelques noms verbaux au lieu des verbes, accord du pluriel, accords verbaux défectueux, mélange de temps verbaux entre le présent et le passé par exemple, utilisation d'un présent narratif au lieu du passé simple ou de l'imparfait, erreurs dans l'usage des prépositions, emploi erroné de *dont*. Quant à la syntaxe, on remarquera la présence de très nombreuses séquences, parfois trop longues et mal structurées. Nous ne détaillons pas ces erreurs de syntaxe, le lecteur peut facilement les relever dans le texte imprimé. Le manuscrit Froment manipule parfois avec peu d'aisance l'accord des temps verbaux surtout au sein de la même séquence (présent/passé, passé/présent) mais ne commet pour ainsi dire aucune des autres fautes grammaticales ci-

9 On a corrigé les fautes d'orthographe dans le texte édité mais non de grammaire ou de syntaxe.

de Slane les mentionna en 1842 et établit une copie qui se trouve aujourd'hui à Paris; tandis que Pélissier de Reynaud qui les consulta à Malte en 1848, en déplorait l'absence en 1850 des archives consulaires de Tripoli (5). Les deux manuscrits ont pu, en effet, provenir des archives du Consulat français à Tripoli puisqu'en 1799 une partie fut enlevée et transportée à Malte (6). En dehors de la copie du baron de Slane, une autre a été établie vers 1869 par Krause, celle-là même qu'utilisera Féraud par la suite.

Notre édition se fonde sur le manuscrit de Malte puisqu'il est un original par rapport aux autres. Cet original semble être à son tour une copie à partir d'un brouillon ou, peut-être, d'un original aujourd'hui disparu. Cette conclusion est à mettre au compte de la présence de quelques erreurs typiques: dans *costan* au lieu de *coftan* ou *caftan*, il y a confusion entre *s* et *f* (p. 34, l.15), *R* et *B* dans *Biis* au lieu de *Rais* (p. 25, l.3), *commandant* pour *commencement* (p. 7, l.8) est surtout une faute de négligence. La phrase "le nombre des Turcs s'auraient, insensiblement, tout espoir de retour leur est interdit" (p. 32, l.2-4) n'a pas de sens et ne s'explique que par l'omission d'une ligne au moins de l'original. La répétition du mot "*promettant*" (p. 30) est aussi une erreur de copiste: le premier étant tout à fait superflu. Enfin, "*réunir*" (p.31) au lieu de "*anéantir*" pourrait être aussi une erreur de la part du copiste (8).

Le fait que le texte soit écrit d'une belle main fort lisible, bien plus belle que celle du manuscrit Froment auquel il est joint, donne aussi à penser qu'il s'agit d'une copie voire d'une mise au net d'un brouillon, probablement par la même personne qui l'a produit. Vraisemblablement, le texte n'était pas assez important pour en multiplier les copies. Il a été, en effet, très rapidement dépassé par les événements.

La main de notre manuscrit diffère sensiblement de celle du manuscrit "Froment". Il n'y a que la page de garde qui est écrite d'une main identique. Bien plus, on trouve des particularités intéressantes dans l'emploi de la langue française (graphie, syntaxe et vocabulaire). Elles sont d'autant plus intéressante qu'elles diffèrent partiellement de celles correspondantes du manuscrit Froment: elles établissent avec certitude que les auteurs des deux manuscrits ne sont pas les mêmes, et par conséquent, notre texte n'est pas une copie d'un autographe de Froment. L'écriture et la graphie appartiennent bien à la fin du

5 L. Ch. FÉRAUD, op. cit, p. 278 note 1 et p. XIV-XV. Le titre que le Baron de Slane donna à sa copie diffère encore de ceux mentionnés en note 4. *Histoire abrégée de Tripoli depuis l'an 958 de l'hégire et de la conquête du Fezzan, suivie de la traduction de l'histoire du règne d'Ali Karamanli*. Ce titre implique que le manuscrit que nous éditons est une traduction, supposition gratuite du Baron de Slane, mais intéressante puisqu'elle tend dans la même direction que certaines conclusions auxquelles nous aboutissons.

6 L. Ch. FÉRAUD, op. cit, p. XIV-XV et p. 313-314. La lettre de BEAUSSIER indique que les archives furent déposées au consulat général d'Espagne. L'affirmation formelle d'A. BERNARD, éditeur de FÉRAUD relative au transport d'une partie des archives à Malte en 1799 devrait être mieux documentée. Le Dr DEPASQUALE de la bibliothèque nationale de Malte nous signale que le manuscrit est consigné en 1856 dans le *Catalogo dei Codici e dei Manoscritti indeiti che si conservano nella Publica Biblioteca di Malta, Valetta 1856*.

7 La pagination adoptée pour cette édition est en partie factice, puisque le manuscrit ne comporte pas de pages numérotées. Nous avons numéroté la page de garde 1 et la première 2 pour terminer avec la page 40.

8 L. Ch. FÉRAUD, op. cit, p. 294 supprime le premier "*promettant*" dans cette phrase.

INTRODUCTION

Les événements de 1790-1795 comptent parmi les plus dramatiques de l'histoire de Tripoli. On les connaît par une variété de sources en langues européennes parmi lesquelles la principale reste l'ouvrage de Lady Worthley déjà publié (1). Les autres sont principalement des documents consulaires. Le manuscrit ci-après édité en fait partie, même s'il ne s'agit pas d'une lettre comme le sont la plupart des autres documents. C'est un rapport récapitulatif se présentant sous forme d'histoire. Il est d'un certain intérêt puisque, en plus de tous les auteurs qui ont publié sur la dynastie Karamanli, les deux "histoires générales" de la Libye les plus lues l'ont utilisé (2). Sans le dire expressément, L. Charles Féraud en recopie de grandes parties (3). Sa version comporte, cependant, quelques erreurs de lecture, quelques altérations du texte, des interpolations et une omission du quart environ du texte. En utilisant Féraud, on se doutera peu de la source à laquelle il a puisé. Cette pratique justifie, en fait, la nécessité de publier les sources dans leur version originale. Ainsi le lecteur peut, lui-même, distinguer entre ce qui est rapporté, interprété ou ajouté par l'historien.

Le manuscrit intitulé "*Histoire du Règne d'Ali Caramanly, Pacha de Tripoly de Barbarie*" et non attribué est précédé d'une page de garde portant le titre suivant: "*Suite de l'histoire de la Régence de Tripoly de Barbarie. Règne d'Aly Caramanly. 1793*". Ce manuscrit fait partie du fonds de la Bibliothèque publique de Malte et est enregistré sous le numéro 113. Son titre semble être approximatif puisqu'il s'agit des dernières années du règne seulement. Quant à la page de garde, elle se réfère à un autre manuscrit intitulé: "*Histoire abrégée de Tripoly de Barbarie extraite des Archives de cette Régence*; traduite par A. C. Froment de Champ Lagarde, écuyer, Vice-Consul de France en cette Résidence" (4). Les deux manuscrits (Format 18/24, vingt lignes) sont reliés ensemble. Le Baron

1 R. TULLY, *Narrative of a ten year's residence at Tripoli in Africa*, London 1816. nouvelle édition S. DEARDEN, London 1957.
Une édition vraiment critique de ce texte si important serait souhaitable.

2 L. Ch. FÉRAUD, *Annales tripolitaines*, Paris 1927 et E. ROSSI, *Storia di Tripoli e della Tripolitania*, Roma 1968. S. DEARDEN, *A nest of Corsairs. The fighting Karamanli of Tripoli*, London 1976 utilise également ce manuscrit.

3 L. Ch. FÉRAUD op. cit. p. 278-294. Nous indiquons les reprises de Féraud en note dans l'édition. M. A. el Wafi, *Charles Féraud et la Libye*, Tripoli 1977, p. 139 n'a pas remarqué cette dépendance de Féraud. Sa note 133 du F 284 au sujet de la relation de parenté entre Sidi Youssef et Abdallah est erronée. Féraud n'inventa pas cette donnée mais la reprit à notre manuscrit.

4 Une variété de titres est citée par ROSSI et FÉRAUD. FÉRAUD donne p. 278 note 1. *Histoire abrégée de Tripoli de Barbarie extraite des Archives de cette Régence*, tandis que ROSSI donne p. 252. *Histoire abrégée du Règne d'Ali Caramanli Pascià (sic) de Tripoly de Barbarie*.

